من فتاوى علماء الأزهر حول الأضرحة والقبور

نتيجة
مسابقة القرآن الكريم

▪ مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية

التوحيد

ALTAWHEED

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٤٣٥ - السنة السابعة والثلاثون - ربيع الأول ١٤٢٩هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

واجب الأمة نحو نبيها ﷺ

إنا كفيناك المستهزئين

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السابعة والثلاثون
العدد ٤٣٥ ربيع الأول ١٤٢٩هـ

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبد الله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧- فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦- ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

الإقبال على القرآن

ظاهرة طيبة إيجابية تبشر الأمة بخير، وهي إقبال الكثير من شباب الأمة على كتاب الله- تعالى- حفظًا وتفسيرًا وفهمًا وتدبرًا، حتى في أصحاب المجالات غير المتخصصة في العلم الشرعي، بل إن شبابًا كثيرًا بدأ يفرغ وقته لتحفيظ القرآن وتعليمه للناس، فـ«خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

فلم يعد إذن مكان بين المسلمين لأمثال الرجل المتخرج في إحدى الكليات ولا يعرف كلام الله من كلام الناس، فيزعم أن الله تعالى قال في كتابه: «وإذا ابتليتم فاستتروا»!!

ولم يعد كذلك مكان للأب الجاهل الذي سأل ابنه الأجهل، ماذا تحفظ من القرآن؟ فقال: لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد!!

بل لم يعد مكان لأمثال رجل صاحب منصب مرموق سألته إحدى المذيعات عن منهجه في حياته، فقال كلامًا يظن أنه كلام الله، وهو ليس كلام الله ولا رسوله. فقال: منهجي قول الله تعالى: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»!

والأعجب وليس عجيبًا أن تثني عليه المذيعة وهي تتبسم قائلة: «صدق الله العظيم»!!

التحرير

مفاجأة كبرى
لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على
٣٦مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٦سنة كاملة

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

التوحيد
إنا كفيناك المستهزئين

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: إنا كفيناك المستهزئين: الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: بقلم رئيس التحرير ٦
باب التفسير: تفسير سورة الأعلى: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب السنة: إعداد: زكريا حسيني ١٣
التعاون على البر والتقوى (٢): أيمن دياب ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
مختارات من علوم القرآن: (سورة آل عمران) مصطفى البصراتي ٢٣
خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين: د. عبدالله شاكر ٢٦
السلام على قارئ القرآن: سعيد عامر ٣١
القصة في كتاب الله: عبدالرازق عيد ٣٤
الواحة: إعداد: علي خضر ٣٦
حدث في مثل هذا الشهر ٣٨
نتيجة مسابقة القرآن الكريم ٤١
باب التراجم: (عبد الله بن يابس): فتحي عثمان ٤٢
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٤٤
التحريف عند اليهود والرافضة: أسامة سليمان ٤٨
الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: ٥٣
من فتاوى علماء الأزهر حول الأضرحة والقبور ٥٦
«الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في ذمة الله» ٥٩
نعمة النطق: عبده أحمد الأقرع ٦٠
أخطار تهدد الأسرة: شوقي عبد الصادق ٦٢
الاحتفال بالمولد النبوي: صلاح الدق ٦٦
إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة: المستشار: أحمد السيد علي ٧٠

ثمن النسخة

مصر ١٥٠قرشا ، السعودية ٦ريالات ، الإمارات ٦دراهم ، الكويت ٥٠٠فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠فلس ، قطر ٦ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار ، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - في الخارج ٢٠دولارا أو ٧٥ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٦٦٠جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
٢٢٠دولار لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

الافتتاحية

إنا كفيناك

الحمد لله رب العالمين، واشهد ان لا إله إلا الله ولي الصالحين، واشهد ان محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه اجمعين، شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له بين الأنام قدره وذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف امره، وافترض على عباده المؤمنين طاعته ومحبته والقيام بحقوقه، وسدَّ كل طريق إلى جنته فلم يفتح لاحد إلا من طريقه فلا يدخل الجنة احد إلا تحت لوائه، يوم ياتي باب الجنة فيستفتح فتقول له خزنتها: بك امرنا الا نفتح لأحد قبلك (مسلم)، اعطاه الله الشفاعة العظمي والمقام المحمود، والحوض المورود، من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابداً.

قال له ربه تبارك وتعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ (الإسراء:٧٩)

وقال له سبحانه: «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى ٣: ٥)، وقال له سبحانه وتعالى: «ورفعنا لك ذكرك﴾، وقال تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (الكوثر)

فهو سيد ولد آدم يوم القيامة، اتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وجعله خاتماً للنبيين وإماماً للمرسلين، وهو أكثر النبيين تابعاً يوم القيامة، وأمته أكثر أهل الجنة / وقد رجا أن تكون أمته شطر (نصف) أهل الجنة فأعطاه الله أكثر مما رجا فجعل أمته ثلثي أهل الجنة، فقال ﷺ «أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، ثمانون منهم من أمتي» (رواه الترمذي وأحمد)

هذا النبي الكريم، المبعوث رحمة للعالمين، تعرض لمسلسل من الإيذاء منذ أن جهر بالدعوة في مكة، وحتى بعد أن أظهره الله عز وجل على عدوه، وأظهر به دينه على الدين كله.

وفي زمن الفتنة التي تموج وتضطرب مثل موج البحر الهائج، في زمن ضعفت فيه الأمة وتخلت عن ريادتها وسيادتها وعزها، وتداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها تطور مسلسل الإيذاء والاستهزاء على يد عباد الصليب وإخوان القردة والخنازير، ومنافقي هذا الزمان وزنادقته في زمن العولمة، فنشرت بعض الصحف الغربية رسوماً كاريكاتورية يسخرون فيها من سيد ولد آدم ﷺ، وكتبت بعض المواقع على شبكة الإنترنت وخاصة المواقع التبشيرية النصرانية تطعن في نبوة محمد ﷺ وتشكك في رسالته وتصفه صلوات ربي وسلامه عليه بأنه قاطع طريق نشر دينه الذي تعلمه من بعض اليهود والنصارى بالإرهاب وحد السيف، وأنه ﷺ كان مغرماً بالنساء، وأنه تزوج طفلة في السابعة من عمرها، وأنه تزوج بأكثر من خمسين امرأة، والأعجب من ذلك أن تخرج علينا امرأةٌ المفترض أنها مسلمة فتكتب كتاباً بعنوان: الحب والجنس في حياة النبي، ويتم عرض الكتاب وبيعه في معرض القاهرة الدولي للكتاب، ثم تعيد الصحف الدانماركية نشر الرسوم المسيئة للنبي ﷺ وكأن حلقات هذا المسلسل القذر قد كُتب لها ألا تتوقف ليبقى هذا المستنقع الآسن تفوح منه رائحة الكذب والافتراء.

المستهزئين

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

إنا كفيناك المستهزئين

لقد أيَّد الله عز وجل نبيه ﷺ، ونصره على عدوه، وأظهر دينه على الدين كله، وكفاه سبحانه وتعالى شر الكافرين والمشركين والمنافقين، وأمره سبحانه أن يجهر بدعوته من غير خوف ولا وجل فقال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ(٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٤: ٩٩)

لقد بدأ مسلسل الإيذاء والاستهزاء بالنبي ﷺ من اللحظة الأولى للجهر بالدعوة، فلما دعا قومه وعشيرته الأقربين، قال له عمه أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسد)

وزعم المشركون أن محمداً ﷺ تعلم القرآن من رجل نصراني فقالوا: إنما يعلمه بشر، فرد الله تبارك وتعالى عليهم بقوله: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣)

وقالوا: شاعر أو كاهن؟ فقال ربنا عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحاقة: ٤٠: ٤٣

ثم قالوا: ساحر أو مسحور ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (٦) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾ (الفرقان: ٤ - ١٠)

ولقد كان النبي ﷺ يحزن لإعراضهم ويضيق صدره بقولهم فأمره ربه أن يعرض عنهم وأن يعبد ربه حتى يأتيه اليقين.

ثم تطور مسلسل الإيذاء فأخذ صوراً أخرى مثل مقاطعة النبي ﷺ ومن معه ومن يدافع عنه من بني هاشم وبني المطلب فكان الحصار في شعب أبي طالب.

ثم كان التعرض بالأذى لرسول الله ﷺ وهو يصلي عند الكعبة قائماً أو ساجداً، فخنقه عقبة بن أبي معيط بردائه، وطرح فرث الجذور على رأسه وهو ساجد.

كل هذا الأذى ورسول الله ﷺ صابر محتسب لا يصده ذلك عن تبليغ رسالة ربه عز وجل إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

فلما كان يوم بدر، يوم الفرقان، وقع صناديد الكفر والشرك صرعى بأسياف الفئة القليلة المستضعفة، فهزموهم بإذن الله، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثير بإذن الله والله مع الصابرين، وأمر رسول الله ﷺ

بضرب عنق عقبة بن أبي معيط من دون سائر الأسرى، وحفر المسلمون حفرة - قليباً - دفنوا فيه قتلى المشركين، ووقف النبي ﷺ يناديهم بأسمائهم ويقول: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ إني وجدت ما وعد ربي حقاً.

ومات أبو لهب بعد بدر منبوذاً مذموماً، وكفى الله عز وجل نبيه هؤلاء المشركين المعاندين المستهزئين، وصدق ربي عز وجل إذ يقول: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:٦٤).

فصار المؤمنون مع رسول الله ﷺ في معية الله وكفايته ونصرته لا يخشون أحداً إلا الله، ولما حاول بعض المشركين إخافتهم وإلقاء الرعب في قلوبهم بعد غزوة أحد قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

عقاب الله عز وجل لمن آذى نبيه ﷺ

روى البخاري في كتاب المناقب من صحيحه باب علامات النبوة في الإسلام- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًا فَكَانَ يَقُولُ مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ. فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوهُ. فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ. فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِى الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ.

إيذاء اليهود والمنافقين لرسول الله ﷺ

ثم تعرض النبي ﷺ للون آخر من الإيذاء وهو إيذاء اليهود والمنافقين، فكان اليهود يشككون في نبوته ورسالته، وقد فضحهم الله عز وجل وبيّن إفكهم، وكان إسلام من أسلم من أحبارهم بعد تأكده من علامات النبوة مثل عبد الله بن سلام الذي وصفوه بقولهم «خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا» فلما علموا بإسلامه قالوا «هو شرنا وابن شرنا».

وزيد بن سعنة الذي قال: «لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرْهما منه: يسبق حلمه جهله: ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد اختبرته منه، فأشهدك يا عمر أني رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا».

(رواه ابن حبان والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن الكبرى والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة).

وكذبه هؤلاء المغضوب عليهم، ومع ذلك عاشوا معه في المدينة وقد دخلوا في عهده، فلم ينقض معهم عهداً ولم يعتد عليهم أحد من أصحابه، بل كان يصبر على أذاهم ويرجو هدايتهم، فكان بعضهم يدخل على النبي ﷺ ويقول مُعَرضاً: السام عليك يا محمد، فيقول لهم ﷺ: وعليكم، والسام يعني الموت، فتسمع عائشة قولهم فتغضب وتقول: عليكم السام واللعنة فيقول لها النبي ﷺ: «لا تقولي هذا يا عائشة». فتقول: ألم تسمع ما يقولون؟ فيقول لها: قالوا: السام عليك، فقلت وعليكم».

فلما نقضوا عهودهم قاتلهم النبي ﷺ وأجلاهم عن المدينة، فأجلى بني قينقاع، ثم بني النضير، ثم بني قريظة، كلما نقض فريق منهم عهده أجلاه النبي ﷺ، ولم يأخذ غيره بذنبه، وهو الذي أنزل الله عليه: ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وقال: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾.

أما أهل النفاق الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر فقد اشتد أذاهم لرسول الله ﷺ حتى قال زعيمهم: ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾، فرد الله عز وجل عليهم بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون٨)

وقد فضحهم الله عز وجل في سورة التوبة فقال: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦١)

ومع هذا فقد صبر رسول الله ﷺ على أذى المنافقين مع قدرته على أن يوقع بهم العذاب والقتل في الدنيا لأنه كان يخشى أن يقول الناس: إن محمداً يقتل أصحابه فيصدهم ذلك عن الدخول في دين الله عز وجل، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء].

لقد عمت هذه الرحمة المهداة الناس جميعاً، مؤمنهم وكافرهم أما أهل الكفر فقد أمنوا عذاب الاستئصال في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

وأما أهل الإيمان فهم المستحقون لرحمة الله عز وجل في الدنيا والآخرة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ﴾.

فكانت بعثة النبي ﷺ رحمة عامة لكل أهل الأرض ورحمة خاصة للمؤمنين الذين يتبعون الرسول النبي الأمي صلوات ربي وسلامه عليه.

وقد فصل الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام وقومه حين عبدوا العجل، فلما رجع موسى غضبان مما صنعوا وحرق العجل ونسفه في اليم، واختار سبعين رجلاً من قومه وصعد بهم الجبل، فرجف بهم الجبل، فدعا موسى ربه وطلب المغفرة والرحمة فأخبره ربه أنه سبحانه يصيب بعذابه من يشاء ممن طغى وتكبر، ويرحم المتقين من عباده، وخص بالرحمة منهم أتباع الحبيب محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف ١٥٥ - ١٥٨)

فانظر إلى هؤلاء السفهاء يصفون الرحمة المهداة بالإرهاب والقتل وسفك دماء الأبرياء، فما أبعد أمثال هؤلاء عن هذه الرحمة الخاصة بالمتقين، وانظر كيف رسموا صوراً زعموا أنها لرسول الله ﷺ وقد نزّه الله عز وجل نبيه عن أن يعبث أحد من الناس بصورته، فأجمعت الأمة على تحريم تمثيل النبي ﷺ وتصويره إجلالاً له وتوقيراً.

بل إن الله عز وجل منع الشيطان أن يتمثل بصورة النبي ﷺ لأحد في نومه، فقال رسول الله ﷺ «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بي» وفي رواية «فإن الشيطان لا يتكونني» متفق عليه

وما مثل هؤلاء الحمقى الذين نشروا هذه الصور وزعموا كذباً وزوراً أنها للنبي ﷺ إلا مثل كفار قريش الذين سبوا النبي ﷺ فقد سموه مذمماً وجعلوا يسبونه، وكان رسول الله ﷺ يقول: انظر كيف يصرف الله عني شتم قريش، يسبون مذمماً وأنا محمد».

فليموتوا بغيظهم، فلن ينالوا من سيد ولد آدم وقد رفع الله قدره وذكره.

وأنتم يا معشر المسلمين أين أنتم من نصرة الحبيب محمد ﷺ، أفيقوا من غفلتكم واستيقظوا من سباتكم، أين أنتم من سنة الحبيب محمد ﷺ وهديه، أين أنتم من شريعته ومنهاجه، أين أنتم من سيرته وشمائله وأخلاقه، ألا تشعرون أنكم قد أسأتم إلى الحبيب حين تركتم سنته وهجرتم هديه، أين مقاطعة هؤلاء السفهاء، هل توقف مسلسل الإيذاء حتى تهدأ غضبتكم؟!

فاللهم إنا نبرأ إليك من تطاول السفها وتخاذل الجبناء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كلمة التحرير

تعبئة القلوب والأقلام للدفاع عن نبي الإسلام ﷺ

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أرسله ربه سبحانه على حين فترةٍ من الرُسُل، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، فدعا إلى ربِّه على بصيرةٍ، فعلَّم الناس من القرآن، ومن السنَّة، وفقهوا في دين الله، وما لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى حتى ترك أُمته على المنهاج الواضح، والصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك». [أخرجه أحمد وابن ماجه].

وبعد: ففي ظل حملة مسمومة، وحرب مُستعرةٍ تشن على الإسلام... حرب ضروس من فئة حاقدة تكشف كل يوم عن حقدها الدفين في هجمة شرسة على الإسلام ونبيه، وعلى كتابه الكريم المُنزَل من رب العالمين، وضرب لثوابت الدين، ومحرقة يهودية لأبناء فلسطين، وإبادة وحشية من خنازير اليهود... وقتل لأطفال رُضّع في عمر الزهور، وحرق الأخضر واليابس في غزة والضفة الغربية، هولوكست (أي: محرقة) حقيقية تشنها آلة الحرب الإسرائيلية، في ظل حماية أمريكية من البوارج الحربية الأمريكية التي تقف في عرض البحر قبالة السواحل اللبنانية، لحماية إسرائيل، وإعطائها الضوء الأخضر لبدء المحرقة ضد الفلسطينيين بعد أن أعلنوها في وقت ضعفت أمامهم الأمة وتهاوت، فتجرأ أهل الكفر في بلاد الغرب على المسلمين، فبثوا سمومهم ضد رسولنا ﷺ، وأعادوا نشر الرسوم المسيئة له، منادين بصوتٍ عالٍ بنشر تلك الرسوم في وسائل إعلامهم الحاقد، تكاتفًا مع شرذمة الدانماركيين من أصحاب الصحف الصفراء، تحديًا لأمة المليار ونصف المليار، وسط خوف من أسلمة أوروبا. والمحافظون الجدد في أمريكا يبثون سمومهم، وأمة تجار مددة، هبَّت من قبل للدفاع عن الرسول ﷺ، وها هي تَهُبّ من جديد، ولكن صوتها لم يَعدْ يَسمعه الحاقدون، فهل يستيقظ قادة الأمة وحكامها هذه المرة فيُسمعون أعداء الله صوتهم دفاعًا عن رسول الله ﷺ؟!

الغرب يتضامن ضد الإسلام والمسلمين

الأعداء يكيدون للمسلمين في كل مكان، فأعداء الأمة في الغرب يتمادون في باطلهم وحقدهم، يبثون سمومهم، فبالأمس القريب وقفت أوروبا متضامنة مع الممرضات البلغاريات في ليبيا بعد أن ارتكبوا فعلتهم الشنعاء ضد الأطفال الليبيين، وتضامنت مع الفرنسيين الذين أرادوا خطف الأطفال في دارفور، واليوم تتضامن مع الدانمارك وهي تعيد نشر الرسوم المسيئة ضد رسولنا الكريم ﷺ، في سبع عشرة صحيفة دانماركية، وهي نفس الرسوم التي نشرتها من قبل صحيفة «يولاندس بوسطن» الدانماركية في سبتمبر ٢٠٠٥م، يومها ثارت ثائرة الشعوب المسلمة، وانطلقت الاحتجاجات وحملات المقاطعة والشجب والإدانة، فأرادت أوروبا هذه المرة أن تكون الحملة موزعة بين دول أوروبا كلها حتى لا تستطيع الشعوب العربية والإسلامية

أن تهب كما فعلت في المرة الأولى.

أدرك الغرب ما وصلنا إليه، من ضعف واستكانة، وعرف آخر ما يمكن أن يصل إليه غضبنا، رسالة واضحة ومحددة، لا تترك مجالاً للتاويل أو التهوين، أراد الغرب إرسالها للمسلمين مع إعادة نشر تلك الرسوم من تلك الفئة الحاقدة. أرادوا أن يقولوا للمسلمين: إنكم ضعفاء بلا وزن ولا قوة، فإذا كان في المرة الأولى نَشْرُ هذه الرسوم في صحيفة واحدة أثار غضبكم، فها نحن ننشرها في كل الصحف الدانماركية، والسويدية، والهولندية، والأسبانية، وها هو وزير داخلية ألمانيا يعلن في بادرة قبيحة عن مطالبته للصحف الألمانية والأوروبية بإعادة نشر تلك الرسوم السيئة!!

إن الحرية- الكاذبة- التي يتباهى بها الغرب ؛ تعني حرية الاستعباد، وإهدار آدمية الآخرين، بل تعني الإساءة للعقائد والمقدسات والشعائر الدينية، بل والتدخل في شئون بلادنا تارة تحت شعار بحث سبل مقاومة الإرهاب، وتارة أخرى تحت شعار تجديد الخطاب الديني !! فالأمة مستهدفة في عقيدتها ورموزها وتاريخها وحضارتها، وأمنها، واستقرارها، وحدودها، غير أن الأمة غائبة عن الوعي، وإذا تحركت وانتفضت، فهي انتفاضة مؤقتة، سرعان ما تهدأ وتتوارى خجلاً وكان شيئًا لم يحدث!!

□□ قوة الإسلام... وضعف المسلمين □□

ومع ضعف الأمة وهوانها... واستكانة قادتها وحكامها أمام ما ينشره الأعداء ضد النبي الكريم ﷺ ، فليعلم كل ناعق ويَسْتيقن كلُّ حاقد، أن الإسلام قويٌ قوة الجبال الراسيات، لم تهزه عبر التاريخ حملة عاتية، تستهدف تشويه معالمه، وإطفاء نوره، بل لا تزيده تلك المكائدُ والدسائس إلاَّ انتشارًا، ولا غرو في ذلك، فسنَّةُ الله في هذا الدين في كل وقت وحين ؛ أنه منصور محفوظ من لدن حكيم عليم، فربُّ العزة عز وجل يقول: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]، ويقول رسول الله ﷺ : «ليبلغنَّ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ، ولا وبرٍ إلاَّ أدخله الله هذا الدين، بعز عزيزٍ، أو بذلِّ ذليل، عزًا يعزُّ الله به الإسلام، وذلاًّ يذل به الكفر». [رواه أحمد والبيهقي].

ومع كل ذلك فليعلم خفافيش الظلام ؛ أن الإسلام سيظل صامدًا في وجه أيِّ حملة عاتية تستهدف صفاءه المتألِّق، ونوره المشرق، فهناك أمرٌ عظيم يجب أن يدركه الحاقدون ؛ وهو أن الإسلام من عند الله، وأنه- سبحانه- رضيه لخلقه دينًا ؛ لسعادة وإصلاح البشرية جمعاء، يقول عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. فالإسلام محفوظ بحفظ الله إلى يوم القيامة، ﴿ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود: ٦٥]. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

□□ واجب القادة والحكام... وعلماء الإسلام □□

ومع اشتداد الحملة التي يشنها أعداء الإسلام ضد الإسلام وأهله، وهجمتهم على النبي الأمين ﷺ ، فالواجب على المسلمين قادةً وعلماء، وحكامًا ورعية ؛ أن يدفعوا تلك الأكاذيب التي تُوجه للإسلام وأهله ونبيه الأمين ﷺ ، وأن يقفوا لها بالمرصاد، وأن يعلموا أنها بليَّة ابتلوا بها، ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣]، وليقتدوا بسيد الأنبياء والمرسلين، عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن يرجعوا رجوعًا حقيقيًا للمحبة الصادقة لله جل وعلا، ولرسوله ﷺ ، وإيثارهما على كل المحاب والمُشتهيات، فالله عز وجل يقول: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

□□ الحرب الجديدة، رسوم مسيئة،... وأفلام عنصرية □□

إن حرق المساجد، وتدمير المراكز الإسلامية، والأفلام المسيئة للإسلام،

> □□ الأعداء يكيدون للمسلمين في كل مكان، فأعداء الأمة في الغرب يتمادون في باطلهم وحقدهم، يبثون سمومهم، فبالأمس القريب وقفت أوروبا متضامنة مع الممرضات البلغاريات في ليبيا، وتضامنت مع الفرنسيين الذين أرادوا خطف الأطفال في دارفور، واليوم تتضامن مع الدانمارك في إعادة نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ □□

ودعوات قادة غربيين بحظر القرآن في بلادهم، وتطاول قادة الأحزاب الأوروبية على الرسول الكريم ﷺ، وتكرار نشر صور مسيئة للنبي محمد ﷺ يجعلنا نتساءل: هل نحن بصدد حرب نازية جديدة، وحرب صليبية ثانية، بدأها الغرب في بلادهم ضد المهاجرين المسلمين، لينقلوها بعد ذلك إلى البلاد الإسلامية، أم أصبحت تلك الظواهر سبيلاً لكسب قادة الغرب أكبر عدد من المؤيدين لهم عن طريق الإساءة للإسلام ونبيه؟ حتى أصبحت ظاهرة حرق المساجد وكتابة العبارات العنصرية المعادية للمسلمين على جدرانها أكثر انتشارًا في دول الغرب.

وفي أمريكا (العنصرية) تم عرض فيلم مناهض للإسلام والمسلمين، منذ أيام قليلة، يصف مسلمي أمريكا بأنهم إرهابيون، مما أثار موجة من الانتقادات الحادة من قبل مسلمي الولايات المتحدة الأمريكية، والفيلم الذي يحمل عنوان «الاستحواذ»، يشير إلى حرب الإسلام الراديكالي ضد الغرب، ويتضمن في مشاهده لقاءات مع شخصيات من أشد المناهضين للمسلمين والعرب مثل الصهيوني المتشدد «دانيال بايبس» الكاتب البارز في الصحف الإسرائيلية، وأحد صقور المحافظين الجدد، و«توني درويش» المسلمة المرتدة، والتي تعتبر من أشد المناهضين للإسلام، و«استيف ايمرسون» الكاتب اليميني المتشدد.

وقد أجرت صحيفة الأوبزرفر البريطانية تحقيقًا مع السياسي الهولندي وعضو البرلمان «جيرت فيلدرز» الذي طالب بحظر القران الكريم في هولندا أسوة بكتاب هتلر «كفاحي» بمناسبة قربه من الانتهاء من إنتاج الفيلم المسيء للإسلام الذي يحوي مشاهد يطالب فيها بإحراق القرآن، ويقول لمراسل الصحيفة الذي أجرى الحوار معه بمكتبه في مقر البرلمان الهولندي: «إن الإسلام ليس دينًا، ولكنه فكر أيديولوجي»، وأضاف ذلك العنصري المتشدد قائلاً: إنه يجب وقف الهجرة من جميع البلاد الإسلامية، وأن المهاجرين المسلمين يجب أن يدفعوا لكي يعيشوا، وأن يتم ترحيل المسلمين المجرمين إلى بلادهم الأصلية بعد إلغاء جنسيتهم الهولندية.

وتنقل الصحيفة عن السياسي الهولندي قوله: «إن هناك الآن ستة آلاف مسجد في القارة الأوربية وهي لا تمثل أماكن عبادة، بل هي مراكز لنشر التطرف، ويتم تمويل بعضها من قبل جماعات متطرفة في السعودية وإيران!!».

وتؤكد هذه الصحيفة أن التفنن في الإساءة للإسلام والمسلمين أصبح من وسائل اجتذاب الكثير من الأصوات في الانتخابات في القارة الأوروبية.

وتقول هذه الصحيفة: إن الشهر الماضي تضامن قادة الأحزاب السياسية في كل من بلجيكا وألمانيا واستراليا لوضع ميثاق ضد أسلمة مدن أوروبا الغربية لينادوا بمنع بناء المساجد.

فهل يجد الإسلام من يقف أمام هذه الحملة الصليبية الصهيونية الجديدة ويوقف سيل الإهانات والإساءات من قبل تلك الفئة الكافرة العفنة التي فاح عفنها؟!

تعبئة القلوب والأقلام للدفاع عن الإسلام

إن الأمة وهي تشاهد تلك الهجمات الشرسة على نبيها الكريم ﷺ، لمطالبة أن تثبت للعالم أن هذه الهجمات لا تزيدها إلاّ رجوعًا إلى معين المحبة الصادقة لهذا النبي الكريم ﷺ، والتمسك بسيرته وسنته ودينه، ونسف المستنقعات الآسنة من الأفكار التي لا تتفق مع دعوته وسيرته وهديه وطريقته، عليها أن تبين للعالم أجمع أن هذه الأمة لن تُفرط في شيء من ثوابتها رغم كيد الكائدين، ومكر الماكرين.

إن هذه الهجمة الشرسة تفرض علينا أن نجند ونعبئ القلوب والأقلام ووسائل الإعلام إلى عرض السيرة العطرة والحياة الطيبة لأعظم إنسان وأفضل مخلوق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من واقع أوثق المصادر العلمية لسيرته التي سطرتها الأيادي الأمينة والكتابات الموضوعية الصادقة، واجبنا

مع ضعف الأمة وهوانها... واستكانة قادتها وحكامها أمام ما ينشره الأعداء ضد النبي ﷺ، فليعلم كل ناعق ويستيقن كل حاقد أن الإسلام قوي قوة الجبال الراسيات، لم تهزه عبر التاريخ حملة عاتية، فهو منصور محفوظ من لدن حكيم عليم

نحن المسلمين أن نسعى بكل ما أوتينا من مقومات ووسائل لنقدِّم حياة الرسول الطاهرة، ورسالته العظيمة بما فيها من الفضائل والمحاسن إلى العالم ليعرف المنصف والجاهل الحقيقة التي يشوِّهها الحاقدون ويحرفُها الحاسدون.

إنَّ من أوجب الواجبات على القادة والعلماء والمثقفين الدفاع عن عِرض رسول الله ﷺ والذَّبِّ عن شخصيته وهديه وسيرته بالقلم واللسان، والحوار الهادف، سياسيًا وعلميًا، وفق خطاب حضاري مقبول وسلوك أخلاقي مؤثر، وعبر عمل مخلص، بمنهج قويم وأسلوب سليم يُوصل الرسالة العالمية التي بُعث بها خير الخلق ﷺ، ويبرز محاسنها ونورها الوضاء وشمسها المشرقة.

أما لله والإسلام حقٌ   يُدافعُ عنه شبانٌ وشيبُ

فكل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام في خدمة دينه وعقيدته وسنة رسوله ﷺ حسب مكانه ومسئوليته، وأنه لواجب على علماء الأمة ودعاتها في كل مكان أن يعملوا بتوجيه القرآن في حوار عُقلاء الملل استجابة لقول الله جل وعلا: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، حوار مبني على الموضوعية والالتزام بأصول الأخلاق الحميدة الكريمة المتسمة بأفضل العبارات وأحسن الأساليب، وإقامة الحجة القاطعة على المعاندين والمكابرين منهم !!

الهولوكست اليهودية... وصمت الأمة

وأثناء كتابة هذه السطور... ما يزال اليهود يمارسون اعتداءهم على الإخوة الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية هولوكست حقيقية يعيشها الفلسطينيون على أيدي اليهود الظالمين!!

إن تهديد نائب وزير الدفاع الإسرائيلي للفلسطينيين بالمحرقة إذا صعدوا هجماتهم الصاروخية لم يكن مجرد تهديد، بل نفذ الأعداء تهديدهم، ورأينا بأعيننا مشاهد الدمار والقتل والاجتياح لكل بقعة في غزة والضفة، واستخدام كلمة محرقة قد يكون تعبيرًا من هذا القائد الصهيوني عن الحقد الدفين بداخله، مع محاولة اليهود أن يجعلوا كلمة «الهولوكست» أو المحرقة خصوصية لليهود، وأن النازية اليهودية الجديدة تُعد أخطر من النازية القديمة.

الطفلة ربيعة عمرها يومان، وأخرى عمرها أسبوع، وآخر عمره شهر، وآخر ثلاثة شهور، وما يقارب الستين قتيلاً ومائتي جريح، والقصف بالطائرات والصواريخ والهليكوبتر (إف ١٦)، وعمليات التجريف وخطف الأطفال الذين بلغ عددهم في يوم واحد سبعة عشر طفلاً، ربما يكون هؤلاء الأطفال يحملون الصواريخ التي يهددون بها خنازير اليهود، والحزن يخيم على كل البقاع والقتل والدمار، وجنازات القتلى في كل مكان، والصمت يخيم على الجميع، فأين أنتم يا قادة المسلمين؟!

فهل يكتفي قادة المسلمين- كعادتهم- بالشجب الذي أصبح يحشرج بالكلمات في الصدور، والبارجة الحربية الأمريكية تقف أمام السواحل اللبنانية لتقوم بالتغطية على المذابح اليهودية للفلسطينيين الذين أعطوهم الضوء الأخضر فاستباحوا الدم المسلم، في كل مكان عملية عسكرية استهدفت البشر والحجر، وكل ما يتحرك على الأرض يتم قصفه وتدميره، والصمت هو العلامة البارزة، والسكون يخيم على الزعماء والقادة، والعالم من حولهم يتفرج كعادته، ثم بعد صمت طويل يطلق كلماته للضحية وليس لخنازير اليهود: «عليكم بضبط النفس وعدم إطلاق الصواريخ»!!

أمة استكانت وضعفت، فاستبيح دماؤها، وقُتل أطفالها ونساؤها من المدنيين والعزَّل، ولم يَعد أمام الثكلى والأرامل والأيتام والجرحى والأطفال في عمر الزهور، إلا أن يلجأوا إلى الله، فهو القهار، القادر على تدمير أعداء الدين وأعداء الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خنازير اليهود ينفذون محرقة جديدة ضد الفلسطينيين في غزة، ومشاهد الدمار والقتل والتنكيل واقتلاع الأخضر واليابس، وقتل الأطفال الأبرياء، فهل يكتفي قادة المسلمين كعادتهم بالشجب الذي أصبح يحشرج بالكلمات في الصدور، وأمريكا تعطي الضوء الأخضر لإبادة الفلسطنيين

سورة الأعلى ١

يقول تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [سورة الأعلى].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بين يدي السورة

سورةٌ مكيةٌ، كان الرسول ﷺ يقرأ بها في إحدى ركعتي العيد والجمعة، وإذا اجتمعا في يوم واحد قرأ بها أيضًا في إحدى الركعتين. [حديث صحيح].

وقد استُفْتِحتْ بالأمر بتسبيح الله العلي الأعلى، ثم ذكرتْ بعضَ مظاهر قدرته الدالة على استحقاقه للتسبيح بحمده، ثم ذكرت الوحي وصفة تلقي النبي ﷺ له، وكيف كان يتعجل بالقراءة، فنهاه الله وقال له: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾.

وأمره أن يذكِّر بالقرآن متى رجا أن تنفع الذكرى، وبين سبحانه من ينتفعُ ومن لا ينتفعُ من الخلق، ثم خُتمت السورة بالإشارة إلى أنّ الفلاحَ والنجاحَ في الدنيا والآخرة سببُه تزكية النفس، والمحافظة على الصلاة التي هي عمودُ الدين، ولكن أكثر الناس عن هذا غافلون، لأنهم يُؤْثرون الحياة الدنيا، والآخرةُ خير لهم لو كانوا يعلمون. وهذه الحقائق التي تضمنتها السورةُ قد تضمنتها مِنْ قبلُ صحف إبراهيم وموسى.

تفسير الآيات

قولُه تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ التسبيح معناه التنزيه عن النقائص والمعايب. وقد اختلف العلماءُ: هل المرادُ تسبيحُ الاسم أم تسبيحُ الربّ؟ وأصحّ الأقوال: أنّ الله تعالى أمر هنا بتسبيح اسْمه الأعلى، وأمر في مواضع أخرى بتسبيح ذاته سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩].

وتسبيحُه تعالى معناه تنزيهُهُ عن كلّ ما لا يليقُ بجلاله، لأنّ له سبحانه الكمالَ المطلق.

واما تسبيحُ اسمه تعالى فيكونُ بامور:

منها: تنزيهُ أسمائه تعالى عن تسمية غيره، فقد سمّى المشركونَ بعضَ آلهتهم ببعض أسماءِ الله، فقالوا: اللات، والعزَى، ومناة، وهي مأخوذة من أسماء الله: الله، العزيز، المنّان. وكذلك مَسيْلمة الكذّاب تجرأ على الله، وسمّى نفسه: رحمن اليمامة، فدمغه اللهُ بالكذب، فلا يُقال إلا مسيلمة الكذاب. وهذا كلّه إلحادٌ في أسماء الله، واللهُ يقول: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومنها: تنزيه أسمائه تعالى عن النطق بها في حال اللهو والعبث، فإنّ الواجب أن ينطق بها في حال الخشوع والخضوع.

ومنها: تنزيه أسمائه سبحانه عن الأماكن الخبيثة، فمن دخل الخلاء- مثلاً- فلا يدخل بشيء

فيه اسم الله.

ومنها: تنزيه الأوراق المكتوبة عن الامتهان، لأنها لا تخلو- غالبًا- من أسماء الله، فلا يجوز الاستنجاءُ بالأوراق المكتوبة، ولا يجوزُ أن تُتخذ سُفْرةً، كما يَفْعَلُ بعضُ الناس اليوم، يَفْرشُون أوراق الجرائد تحت الطعام، ولا يجوزُ إلقاء الأوراق المكتوبة والجرائد في الطرقات ولا في القُمامة، لأنها لا تخلو من أسماء الله، فيكونُ في إلقائها امتهانٌ للأسماء الحسنى.

فهذه الأمور كلها من معاني التسبيح باسم الله.

وفي اسمه تعالى (الأعلى) إشارة إلى علوه سبحانه فوق خلقه، كما أنَّ من أسمائه تعالى (العليّ) قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]. فهذان الاسمان (العليّ، الأعلى)، يدلاّن على عُلُوه سبحانه فوق خلقه، والأدلة على ذلك كثيرة:

منها تصريحُه سبحانه بأنه فوق عباده، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠].

ومنها: تصريحُه سبحانه بأنه على العرش استوى، في سبع مواضع من القرآن الكريم: في الأعراف، يونس، الرعد، طه، السجدة، الفرقان، الحديد.

ومنها: تصريحُه سبحانه أنَّه في السماء، كقوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

ومنها: تصريحُه سبحانه بنزُول الأشياء من عنده، وعروجها إليه، كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وغير ذلك من الآيات.

وأما الأدلة من السنة فهي أشهرُ من أن تُذكر، وأكثر من أن تُحصر، ومنها قول النبي ﷺ للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسولُ الله. قال: «اعْتقْها فإنَّها مؤمنة».

كما أن الفطرة ناطقةٌ بعلوِّ الله، وشاهدةٌ بفوقيته، ولذلك إذا أراد أي إنسان ممن يقرّ بالفوقية أو ينكرُها- أن يدْعو الله، رفع يديه إلى السماء ووجد من قلبه التفاتة نحو السماء، لا يلتفت يمنة ولا يسْرةً، ولا إلى أي جهة وهذه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: خلق كل شيءٍ فسوّاه وحسَّنَهُ وجمله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، وقال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقال: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ أي: قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، ثم هدى كلَّ مخلوق إلى ما قدر له. عن النبي ﷺ أنه قال: «أولُ ما خَلَقَ اللهُ القلمُ، فقال له: اكتب، قال: ما أكتبُ؟ قال: اكتبْ كلَّ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة». وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألفَ سنةٍ، وكان عرشه على الماء». [الترمذي: ٢٢٤٥].

وهذه الآية كقوله تعالى إخبارًا عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، أي: قدّر مقادير الخلائق، وهداهم إلى ما قدرَ لهم. وهذه هي الهداية العامة، وهي هدايةُ الله لجميع الخلائق لما قدّر لهم من مقادير.

وهناك أنواع من الهداية غيرُ هذه الهداية، سبق الكلامُ عنها في سورتي البلد والإنسان، عند قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ المرعى معروف، وهو ما ترعاهُ النعمُ وغيرُها من الدواب، وهو يكونُ أخضر يانعًا، ثم يجعله الله غثاءً أحوى، أي يابسًا أسود، هشيمًا متغيرًا، وفي هذا إشارةُ إلى أن كل نبات إلى حصاد، وكلّ حي إلى مَوْت، وهي إشارةٌ ضمنية، قد جعلها الله مثلاً للدنيا، حتى لا يغتَرّ الناس بها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]. والآيات في هذا كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إخبارٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ، ووعدٌ منه له بأنه سيقرئه قراءةً لا ينسى منها إلا ما شاء الله. وكان ﷺ إذا جاءه جبريل يُعلمه القرآن يتعجل بالقراءة معه حتى لا ينسى، فنهاه الله عن ذلك، فقال: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤].

ووعَدهُ أن يجمعه في صدره، فلا يضيع منه شيءٌ، وأن يقرأه كما سمعه من غير تغيير.

وأن يبينه له أحسن بيان، فقال تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أي: إنه سبحانه يعلم ما يكون من عباده في كلِّ حال، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

وقوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾، وعدٌ من الله لنبيه ﷺ أن ييسره لليسرى في أموره كلها، في دينه، ودنياه، وقد صدق الله وعده، ويسر نبيه لليسرى، وله الحمد والمنة، وهذا الوعد من الله لنبيه قد وَعَد به من أدى شرطه من العباد، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾: قال العلماء: إنْ شرطية: إنْ نفعت الذكرى فذكر. وقسموا المدعوين إلى ثلاثة أقسام:

قسمٌ مقطوعٌ بانتفاعه. وقسمٌ مقطوعٌ بعدم انتفاعه. وقسمٌ يُرْجى انتفاعُه. والقسم الأول هم المؤمنون، الذين قال الله فيهم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وهؤلاء يجبُ تذكيرهم، والقسمُ الثالثُ يذكر لعله ينتفع، فمن ترجو أن ينتفع فذكره، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: ٣، ٤]، وأما القسم الثاني فهذا قد أمر الله نبيه بالإعراض عنه، فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وقال: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٢- ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]، فأهلُ خشية الله هم أهلُ الانتفاع بالذكر، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ وهو الكافر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وقال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٢- ١٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي: يدخلها فتغمره من جميع الجهات، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح، ﴿وَلاَ يَحْيَى﴾ فيها حياةً طيبة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

أجارنا الله وسائر إخواننا المسلمين.

وقولُه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: من طهَّر نفسه من دنس الكفر والشرك وسائر المعاصي والأخلاق الرذيلة، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، ولا تزكو نفسٌ إلا باتباع الرسول ﷺ واقتفاء أثره، فهو ﷺ الذي بعثه الله في الأميين ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي: أقام الصلاة في أوقاتها طاعة لله تعالى، وامتثالاً لأمره، ورغبةً في ثوابه، وقيل: إن المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ زكاة الفطر، وصلاة العيد.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: تقدمونها على الآخرة، ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من الحياة كلها، ﴿وَأَبْقَى﴾ والحياةُ الدنيا فانية.

وإيثارُ الدنيا على الآخرة له أسباب:

منها: الجهل: قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أي: لو كانوا يعلمون حقيقة الدنيا والآخرة ما آثروا الدنيا على الآخرة.

ومنها: قسوةُ القلب: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ومنها: تزيين الدنيا في أعين الناظرين إليها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦].

قال بعضُ السلف: لو كانت الدنيا منْ ذهب يفنى، والآخرةُ من خزف يبقى لآثرت العقولُ السليمة الآخرة على الدنيا، فكيف والآخرةُ من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى !!

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ يعني: إنَّ هذا المذكور في السورة، أو في هذه الجملة الأخيرة قد كان من قبل في صحف إبراهيم وموسى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من البيوع المنهي عنها

إعداد/
زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلا يزال الحديث موصولاً عن البيوع المنهي عنها، فنقول مستعينين بالله تعالى وبه الحول والطول:

١١- النهي عن تلقي الركبان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ عن التلقي وأن يبيع حاضر لباد.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب البيوع باب النهي عن تلقي الركبان وأن بيعه مردود، برقم (٢١٦٢) وأطرافه في (٢١٤٠- ٢١٤٨- ٢١٥٠- ٢١٥١- ٢١٦٠- ٢٧٢٣- ٢٧٢٧- ٥١٤٤- ٥١٥٢- ٦٦٠١)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البيوع باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه وتحريم النجش وتحريم التصرية برقم (١٥١٥)، وفي باب تحريم تلقي الجلب برقم (١٥١٩)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في باب التلقي من كتاب البيوع برقم (٣٤٣٧)، والإمام الترمذي في جامعه في البيوع باب ما جاء في كراهية تلقي البيوع برقم (١٢٢١)، والإمام النسائي في البيوع باب التلقي برقم (٤٥٠٥)، والإمام ابن ماجه في التجارات في باب النهي عن تلقي الجلب برقم (٢١٧٨)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا رواه الإمام مالك في الموطا.

شرح الحديث

ترجمة الإمام البخاري لهذا الباب هي «النهي عن تلقي الركبان، وأن بيعه مردود؛ لأن صاحبه عاص آثمٌ إذا كان به عالمًا، وهو خداع في البيوع والخداع لا يجوز».

قال الحافظ في الفتح: جزم المصنف (يعني الإمام البخاري) بأن البيع مردود بناء على أن النهي يقتضي الفساد، لكن محل ذلك عند المحققين فيما يرجع إلى ذات المنهي عنه لا ما إذا كان يرجع إلى أمر خارج عنه فيصح البيع ويثبت الخيار بشرطه الآتي ذكره. وأما كون صاحبه عاصيًا آثمًا والاستدلال عليه بكونه خداعًا فصحيح، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون البيع مردودًا؛ لأن النهي لا يرجع إلى نفس العقد ولا يخل بشيء من أركانه وشرائطه، وإنما هو لدفع الإضرار بالركبان، والقول ببطلان البيع صار إليه بعض المالكية وبعض الحنابلة، ويمكن أن يحمل قول البخاري إن البيع

مردود على ما إذا اختار البائع رده فلا يخالف الراجح، وقد تعقبه الإسماعيلي وألزمه التناقض ببيع المصراة- وهي البهيمة التي يحبس اللبن في ضرعها ليظهر أن لبنها كثير عند بيعها- فإن فيه خداعًا ومع ذلك لم يبطل البيع، وبكونه- أي البخاري- فصل في بيع الحاضر للبادي بين أن يبيع له بأجر أو بغير أجر.

واستدل عليه أيضًا بحديث حكيم بن حزام في بيع الخيار ففيه: «فإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما». قال: فلم يبطل البيع بالكذب والكتمان للعيب، وقد ورد بإسناد صحيح: «أن صاحب السلعة إذا باعها لمن تلقاه يصير بالخيار إذا دخل السوق». ثم ساقه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم قال الحافظ: «قال ابن المنذر: أجاز أبو حنيفة التلقي وكرهه الجمهور. قُلْتُ: الذي في كتب الحنفية: يكره التلقي في حالتين ؛ أن يضر بأهل البلد، وأن يلتبس السعر على الواردين، ثم اختلفوا ؛ فقال الشافعي: من تلقاه فقد أساء، وصاحب السلعة بالخيار، وحجته حديث أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن تلقي الجلَب، فإن تلقاه فاشتراه فصاحبه بالخيار إذا أتى السوق. قلت: وهو حديث أخرجه أبو داود والترمذي وصححه ابن خزيمة من طريق أيوب، وأخرجه مسلم من طريق هشام عن ابن سيرين بلفظ: «لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه فإذا أتى سيدُهُ السوق فهو بالخيار». وقوله: «فهو بالخيار» أي: إذا قدم السوق وعلم السعر، وهل يثبت له الخيار مطلقًا أو بشرط أن يقع له في البيع غبن ؟ وجهان، أصحهما الأول، وبه قال الحنابلة. وظاهره أيضًا أن النهي لأجل منفعة البائع وإزالة الضرر عنه وصيانته ممن يخدعه. قال ابن المنذر: وحمله مالك على نفع أهل السوق لا على نفع رب السلعة، وإلى ذلك جنح الكوفيون والأوزاعي. قال: والحديث حجة للشافعي لأنه أثبت الخيار للبائع لا لأهل السوق. وقد احتج مالك ومن معه بحديث ابن عمر وفيه: النهي عن تلقي السلع حتى يهبط بها إلى السوق.

قال المباركفوري في شرح الترمذي: وهذا لا يكون دليلاً لمدعاهم ؛ لأنه يمكن أن يكون ذلك رعاية لمنفعة البائع، لأنها إذا هبطت إلى الأسواق عرف مقدار السعر فلا يخدع، قال: ولا مانع من أن يقال: العلة في النهي مراعاة نفع البائع ونفع أهل السوق.

وقد ساق الإمام البخاري في هذا الباب أربعة أحاديث وهي: حديث أبي هريرة هذا، وثانيها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واقتصر فيه الإمام البخاري على قول طاوس: سألت ابن عباس عن معنى قوله: «لا يَبِيعَنَّ حاضرٌ لباد؟ فقال: لا يكن له سِمْسَارًا». قال الحافظ في الفتح: وكأنه أشار إلى أصل الحديث. فقد سبق قبل بابين من وجه آخر عن معمر وفي أوله: «لا تلقوا الركبان». وكذا أخرجه مسلم.

قال: وقوله: «لا تلقوا الركبان». خرج مخرج الغالب في أن من يجلب الطعام يكونون عددًا ركبانًا. ولا مفهوم له، بل لو كان الجالب عددًا مشاةً، أو واحدًا راكبًا، أو واحدًا ماشيًا لم يختلف الحكم.

وقوله: «للبيع» يشمل البيع لهم والبيع منهم، ويفهم منه اشتراط قصد ذلك بالتلقي.

فلو تلقى الركبانَ أحدٌ للسلام أو الفرجة أو خرج لحاجة له فوجدهم فبايعهم فهل يتناوله النهي ؟ فيه احتمال ؛ فمن نظر إلى المعنى لم يفترق عنده الحكم بذلك، وهو الأصح عند الشافعية وشرط بعض الشافعية في النهي: أن يبتدئ المتلقي فيطلب من الجالب البيع، فلو ابتدأ الجالب بطلب البيع فاشترى منه المتلقي لم يدخل في النهي.

من صور التلقي المحرم

قال الحافظ في الفتح:

١- ذكر إمام الحرمين في صورة التلقي المحرم أن يكذب في سعر البلد ويشتري منهم بأقل من ثمن المثل.

٢- وذكر المتولي فيها أن يخبرهم بكثرة المؤنة عليهم في الدخول.

٣- وذكر أبو إسحاق الشيرازي: أن يخبرهم بكساد ما معهم ليغبنهم.

قال الحافظ بعد أن ساق هذه الصور: وقد يؤخذ من هذه التقييدات إثبات الخيار لمن وقعت له ولو لم يكن هناك تلق.

فائدة لغوية

في قوله: «لا تلقوا» بفتح التاء واللام وتشديد القاف المفتوحة وضم الواو، أصله: تتلقوا حذفت منه

إحدى التاءين تخفيفًا، كما في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾، وهذا الحذف جائز، وذلك لثبوت التاءين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾.

ومطلق النهي عن التلقي يشمل طول المسافة وقصرها وهو ظاهر إطلاق الشافعية.

١٢- النهي عن الاحتكار

عن معمر بن عبد الله أحد بني عدي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب تحريم الاحتكار في الأقوات برقم (١٦٠٥)، كما أخرجه أبو داود في سننه في البيوع باب النهي عن الحُكْرَة برقم (٣٤٤٧)، والترمذي في البيوع باب ما جاء في الاحتكار برقم (١٢٦٧)، وابن ماجه في التجارات باب الحُكْرَة والجلب برقم (٢١٥٤)، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٤٥٣، ٤٥٤)، وذكره ابن عبد البر في باب الحكرة والتربص من كتابه الاستذكار.

شرح الحديث

قال الإمام النووي: قال أهل اللغة: الخاطئ بالهمز هو العاصي الآثم، وهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار، قال أصحابنا: الاحتكار المحرم هو الاحتكار في الأقوات خاصة، وهو أن يشتري الطعام في وقت الغلاء للتجارة ولا يبيعه في الحال، بل يدخره ليغلو ثمنه. فأما إذا جاءه من قريته، أو اشتراه في وقت الرخص وادخره، أو ابتاعه في وقت الغلاء لحاجته إلى أكله، أو ابتاعه ليبيعه في وقته فليس باحتكار ولا تحريم فيه. وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكل حال، هذا تفصيل مذهبنا. اهـ.

وأما الاحتكار عند المالكية فهو الادخار من أجل البيع وطلب الربح بتقلب الأسواق، وأما الادخار للقوت أي من أجل طعامه وعياله فليس من الاحتكار، واتفق المالكية مع الشافعية في أن الاحتكار في الأقوات خاصة.

وأما الأحناف فالاحتكار عندهم من حيث اللغة هو احتباس الشيء انتظارًا لغلائه، والمراد به شرعًا: حبس الأقوات متربصًا للغلاء، أو هو: اشتراء طعام ونحوه وحبسه إلى الغلاء أربعين يومًا مستدلين بحديث: «من احتكر طعامًا أربعين ليلة فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، وأيما أهل عَرْصَة بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله».

والحنابلة عندهم الاحتكار ما اجتمع فيه ثلاثة أمور:

١- أن يكون قد حَصَّلَ السلعة بطريق الشراء وليس بطريق الجَلَب، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لا يكون محتكرًا، وذلك لحديث: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون».

٢- أن تكون السلعة المشتراة قوتًا من الحبوب المقتاتة ونحوها، لأنه ما تعم الحاجة إليه، أما الإدام والحلواء والعسل والزيت وأعلاف البهائم فليس فيها احتكار محرم.

٣- أن يُضَيِّقَ على الناس في شرائه بأمرين: أحدهما: أن يكون في بلد يضيق بأهله الاحتكار كالثغور، وأما البلاد الواسعة كثيرة المرافق والجلب كالأمصار التي لا يؤثر فيها الاحتكار فلا يحرم.

وثانيهما: أن يكون في حال الضيق والشدة، كأن تدخل البلدَ قافلةٌ فيبادر ذوو الأموال بشرائها ويضيقون على الناس، وعلى هذا لا فرق بين البلد الصغير والكبير. أما الشراء في حال السَّعة والرخص بوجه لا يضيق على أحد فليس بمحرم.

هذا، وقد اتفق الفقهاء على تحريم الاحتكار في كل وقت في الأقوات أو طعام الإنسان؛ مثل الحنطة والشعير والذرة والأرز، والتين والعنب والتمر والزبيب ونحوها مما يقوم به البدن.

وكذلك اتفق الأحناف والشافعية والحنابلة على تحريم الاحتكار في طعام البهائم، وعند المالكية وأبي يوسف من الأحناف يحرم الاحتكار في غير الطعام في وقت الضرورة، لا في وقت السَّعَة، فلا يجوز عندهم الاحتكار في الطعام وغيره من الكتان والقطن وجميع ما يحتاج إليه الإنسان، أو كل ما أضر بالناس حبسه قوتًا كان أو ثيابًا أو نقودًا.

وقال السبكي من الشافعية: إذا كان الاحتكار في وقت قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج- زيت السمسم- وأمثالها إضرار، فينبغي أن يقضى بتحريمه، وإذا لم يكن إضرار فلا يخلو احتكار من كراهة.

قال الإمام النووي: قال العلماء: والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس. كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام، واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أجبر على بيعه دفعًا للضرر عن الناس. قال: وأما ما ورد في الكتاب- صحيح مسلم- وغيره عن سعيد بن المسيب راوي الحديث عن معمر بن عبد الله، وكذلك عن معمر أنهما كانا يحتكران فقال ابن عبد البر وآخرون: إنما كانا يحتكران الزيت، وحملا الحديث على احتكار القوت عند الحاجة إليه والغلاء.

وقد قال الترمذي عقب حديث معمر بن عبد الله ؛ قال أبو عيسى: وفي الباب عن عمر وعلي وأبي أمامة وابن عمر. وحديث معمر حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم ؛ كرهوا احتكار الطعام. ورخص بعضهم في الاحتكار في غير الطعام.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: قوله: «وفي الباب عن عمر» مرفوعًا: «ومن احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس». أخرجه ابن ماجه، وحسّن الحافظ في الفتح إسناده. وعنه مرفوعًا بلفظ: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» أخرجه ابن ماجه وإسناده ضعيف، وعن «علي» قال في تحفة الأحوذي: لم أقف على حديثه، وعن «أبي أمامة» مرفوعًا: «ومن احتكر طعامًا أربعين يومًا ثم تصدق به، لم يكن له كفارة». أخرجه رزين. وعن «ابن عمر» مرفوعًا: «من احتكر طعامًا أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه». أخرجه أحمد والحاكم، قال الحافظ في الفتح: في إسناده مقال، قال المباركفوري: وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «من احتكر حكْرَةً يريد أن يغالي بها على المسلمين فهو خاطئ». أخرجه الحاكم، ذكره الحافظ وسكت عنه، وعن معاذ مرفوعًا: «من احتكر طعامًا على أمتي أربعين يومًا، وتصدق به لم يقبل منه». أخرجه ابن عساكر.

ثم قال المباركفوري: قوله: «ورخص بعضهم في الاحتكار في غير الطعام»، واحتجوا بالروايات التي فيها التصريح بلفظ الطعام. قال الشوكاني في نيل الأوطار: وظاهر أحاديث الباب أن الاحتكار محرم من غير فرق بين قوت الآدمي والدواب وبين غيره، والتصريح بلفظ الطعام في بعض الروايات لا يصلح لتقييد باقي الروايات المطلقة، بل هو من التنصيص على فرد من الأفراد التي يطلق عليها المطلق؛ وذلك لأن نفي الحكم عن غير الطعام إنما هو لمفهوم اللقب، وهو غير معمول به عند الجمهور، وما كان كذلك لا يصلح للتقييد على ما تقرر في الأصول. اهـ.

والحق الذي يجب أن يصار إليه أن الاحتكار إذا كانت علة التحريم فيه هي الإضرار بعامة الناس فينبغي أن يُحَرَّمَ احتكار القوت وغيره من السلع إذا كان احتكارها يلحق الضرر بهم.

نسأل الله أن يهدي تجار المسلمين إلى تقوى الله في بيعهم وشرائهم، وأن يخافوا ربهم في تعاملاتهم، وأن يرعوا فيها ما حرم الله، وأن يعلموا أن الذي حرمه الله تعالى من المعاملات إنما هو لمصلحة عموم المسلمين، والمسلم إذا كان يتقي ربه سبحانه فإنه لا يقدم مصلحته الخاصة على مصالح المسلمين العامة.

وفقنا الله وجميع المسلمين إلى محبته ومرضاته، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تنويه

بمشيئة الله تعالى سوف يُقام حفل لتوزيع الجوائز على الفائزين في مسابقة القرآن الكريم بالمركز العام، وذلك بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء ١١ من ربيع الأول الموافق ٢٠٠٨/٣/١٩ م.

الحلقة الثانية

التعاون على البر والتقوى

إعداد / أيمن دياب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال حديثنا - بعون الله تعالى - موصولاً حول التعاون على البر والتقوى، وقد ذكرنا في العدد الماضي أن المعاونة على البر والتقوى تكون بالجاه، والبدن، والنفس، والمال، والرأي، وذكرنا خمس نقاط وهي:

أولاً: التعاون في نصرة الدين.

ثانيًا: التعاون على إقامة العبادات.

ثالثًا: التعاون على بناء المساجد وعمارتها.

رابعًا: التعاون في طلب العلم.

خامسًا: التعاون في الدعوة إلى الله تعالى.

وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

سادسا: التعاون في إقامة الأعمال الخيرية

بالمشاركة فيها بالنفس والمال، والجود عليها بالوقت، والحثّ على تكثير السّواد فيها، وحسن استقبال روّادها، وإتقان وضع برامجها وترتيب جداولها، وشحذ الهمم لتنفيذ مهامّها، والعمل على تحقيق مقاصدها، ونشر فكرتها، وتصحيح مسيرتها، والذبّ عنها، وحراسة أهلها، ومقاومة محاولات هدمها وإعاقتها.

من ذلك التعاون على القيام بحقوق المسلمين، وباب التعاون على القيام بحقوق المسلمين واسع، ويدخل فيه كثير من الأمور، منها:

إغاثة الملهوف

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ: إِذْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ»(١). وفي رواية أبي داود رحمه الله: (وَتُغِيثُوا الْمَلْهُوفَ وَتَهْدُوا الضَّالَّ)(٢). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (وَفِي حَدِيث أَبِي ذَرّ رضي الله عنه عِنْدَ اِبْن حِبَّان «وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْك مَعَ اللَّهْفَان الْمُسْتَغِيث»(٣)، ومِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس رضي الله عنهما «وَاَللَّه يُحِبّ إِغَاثَة اللَّهْفَان»(٤))(٥).

وعنه ﷺ قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ. قَالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ أَوْ قَالَ بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُمْسِكُ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ»(٦).

وعن يزيد بن الأسود - رحمه الله - قال: «لقد أدركت أقواما من سلف هذه الأمة قد كان الرجل إذا وقع في هوي أو دجلة نادى يا لعباد الله فيتواثبون إليه فيستخرجونه ودابته مما هو فيه،

ولقد وقع رجل ذات يوم في دجلة فنادى يا لعباد الله فتواثب الناس إليه فما أدركت إلا مقاصنه في الطين، فلأن أكون أدركت من متاعه شيئا فأخرجه من تلك الوحلة أحب إلي من دنياكم التي ترغبون فيها»(٧).

فانظر أخي المسلم كيف كان هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم في إغاثة الملهوف وإعانته على نازلته وضرورته.

ومن صور التعاون العامة : ما جاء في آداب الطريق وقد جمعها الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في قوله:

جَمَعْت آدَاب مَنْ رَامَ الجُلُوس عَلَى
الطَّرِيق مِنْ قَوْل خَيْر الخَلْق إِنْسَانَا
أَفْشِ السَّلام وَأَحْسِنْ فِي الْكَلام
وَشَمِّتْ عَاطِسًا وَسَلامًا رُدَّ إِحْسَانَا
فِي الحَمْل عَاوِنْ وَمَظْلُومًا أَعِنْ
وَأَغِثْ لَهْفَان اِهْدِ سَبِيلا وَاهْدِ حَيْرَانَا
بِالْعُرْف مُرْ وَانْهَ عَنْ نُكْر وَكُفّ
أَذَى وَغُضّ طَرْفًا وَأَكْثِرْ ذِكْر مَوْلانَا (٨)

إعانة الضعفاء والمظلومين

عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ:قَالَ:رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»(٩) . وقد بوّب الإمام البخاري - رحمه الله - باباً تحت عنوان (أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (تَرْجَمَ بِلَفْظِ الإِعَانَة لِمَا فِي رِوَايَة ابْن عَدِيّ،وأبي نُعَيْم «أَعِنْ أَخَاك ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» مِنْ الْوَجْهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْهُ الْبُخَارِيّ بِهَذَا اللَّفْظ. قَالَ الْبَيْهَقِيّ: «مَعْنَاهُ أَنّ الظَّالِمَ مَظْلُومٌ فِي نَفْسِهِ فَيَدْخُلُ فِيهِ رَدْع الْمَرْء عَنْ ظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ حِسًّا وَمَعْنًى، فَلَوْ رَأَى إِنْسَانًا يُرِيدُ أَنْ يَجُبّ نَفْسَهُ لِظَنِّهِ أَنَّ ذَلِكَ يُزِيلُ مَفْسَدَةَ طَلَبِهِ الزِّنَا مَثَلاً مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ وكَانَ ذَلِكَ نَصْرًا لَهُ».

ثم قال رحمه الله: (قَوْله: «بَاب نَصْرِ الْمَظْلُوم» هُوَ فَرْض كِفَايَة، وَهُوَ عَامٌّ فِي الْمَظْلُومِينَ وكَذَلِكَ فِي النَّاصِرِينَ بِنَاءً عَلَى أَنَّ فَرْض الْكِفَايَة مُخَاطَب بِهِ الْجَمِيع وَهُوَ الرَّاجِحُ وَيَتَعَيَّنُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ لَهُ الْقُدْرَة عَلَيْهِ وَحْدَهُ إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَى إِنْكَارِهِ مَفْسَدَة أَشَدّ مِنْ مَفْسَدَةِ الْمُنْكَر، فَلَوْ عَلِمَ أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لاَ يُفِيدُ سَقَطَ الْوُجُوب وَبَقِيَ أَصْل الاِسْتِحْبَاب بِالشَّرْطِ الْمَذْكُور، فَلَوْ تَسَاوَتْ الْمَفْسَدَتَانِ تَخَيَّرَ، وَشَرْط النَّاصِرِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِكَوْن الْفِعْل ظُلْمًا. وَيَقَعُ النَّصْرُ مَعَ وُقُوع الظُّلْم وَهُوَ حِينَئِذٍ حَقِيقَة، وَقَدْ يَقَعُ قَبْلَ وُقُوعِهِ كَمَنْ أَنْقَذَ إِنْسَانًا مِنْ يَدِ إِنْسَانٍ طَالَبَهُ بِمَال ظُلْمًا وَهَدَّدَهُ إِنْ لَمْ يَبْذُلْهُ وَقَدْ يَقَعُ بَعْدُ وَهُوَ كَثِيرٌ)اهـ(١٠).

التعاون على مواجهة شدائد العَيْش

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل بعض الناس أغنياء، والبعض الآخر فقراء ؛ ليساعد بعضهم بعضًا، خاصة في أمور معاشهم، ومعاونتهم على شظف الدنيا، ومواساتهم فيها، عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»(١١). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (قَوْلُهُ: (إِذَا أَرْمَلُوا) أَيْ فَنِيَ زَادهمْ، وَأَصْله مِنْ الرَّمْل كَأَنَّهُمْ لَصِقُوا بِالرَّمْلِ مِنْ الْقِلَّة، وَفِي الْحَدِيث فَضِيلَة الإِيثَار وَالْمُوَاسَاة، وَاسْتِحْبَاب خَلْطَ الزَّاد فِي السَّفَر وَفِي الإِقَامَة أَيْضًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)اهـ (١٢).

سابعًا : تعاون أصحاب المسئوليات فيما بينهم

لعل من أهم صور التعاون ؛ تعاون كل من تجمعهم مهمة واحدة لإنجاز هذه المهمة على الوجه الذي يرضي الله تعالى، وهذا هو مفهوم توجيه النَّبِي ﷺ حين بعث مَعَاذًا وَأَبَا مُوسَى - رضي الله عنهما - إِلَى الْيَمَنِ حيث قَالَ ﷺ «يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا»(١٣)، وتلك الوصية النبوية جاءت لتؤصّل عند جميع المسلمين دور التعاون في إنجاح جميع الأعمال والمهامّ حتى العظيم منها. وذلك لأن المعاونة تورث المحبة والترابط.

وصور التعاون على البرّ والتقوى كثيرة جدًا لا يُمكن حصرها، ومجال الاستدلال بتلك الآية الجامعة

واسع جدًا. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

الضرب الثاني من ضروب التعاون: التعاون على الإثم والعدوان

وقد جاء النهي الصريح في كتاب الله عز وجل عن التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، وكما تتعدد صور التعاون على البر والتقوى فكذلك تتعدد ضروب التعاون على الإثم والعدوان، ومن ذلك:

أولاً: المعاونة على المنكر

وشرّ المراتب في المنكر بعد ارتكابه المعاونة عليه ثم الرضا ثم المداهنة ثم السكوت عن الإنكار.

وعلى المسلم أن يصبر على أذى من يخالفهم لأجل منكرهم: وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وذلك أن كثيرا من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه ويبغضون من لا يوافقهم، وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة من موالاة كل قوم لموافقيهم ومعاداتهم لمخالفيهم وكذلك في أمور الدنيا والشهوات كثيرا ما يختار أهلها ويؤثرون من يشاركهم في أمورهم وشهواتهم، إما للمعاونة على ذلك كما في المتغلبين من أهل الرياسات وقطّاع الطريق ونحو ذلك، وإما لتلذذهم بالموافقة كما في المجتمعين على شرب الخمر مثلا فإنهم يحبون أن يشرب كل من حضر عندهم، وإما لكراهتهم امتيازه عنهم بالخير إما حسدًا له على ذلك، وإما لئلا يعلو عليهم بذلك ويُحمد دونهم، وإما لئلا يكون له عليهم حجة، وإما لخوفهم من معاقبته لهم بنفسه أو بمن يرفع ذلك إليهم ولئلا يكونوا تحت منّته وخطره ونحو ذلك من الأسباب..» اهـ(١٤).

وَكَذَلِكَ السِّلاَحُ يَبِيعُهُ الرَّجُلُ لِمَنْ يَعْرِفُ أَنَّهُ يَقْتُلُ بِهِ مُسْلِمًا حَرَامٌ بَاطِلٌ لِمَا فِيهِ مِنْ الإِعَانَةِ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ(١٦).

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ - رحمه الله -: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ السِّلاَحِ فِي الْفِتْنَةِ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ هَذَا سَدٌّ لِذَرِيعَةِ الإِعَانَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَيَلْزَمُ مَنْ لَمْ يَسُدَّ الذَّرَائِعَ أَنْ يُجَوِّزَ هَذَا الْبَيْعَ كَمَا صَرَّحُوا بِهِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا الْبَيْعَ يَتَضَمَّنُ الإِعَانَةَ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَفِي مَعْنَى هَذَا كُلُّ بَيْعٍ أَوْ إِجَارَةٍ أَوْ مُعَاوَضَةٍ تُعِينُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَبَيْعِ السِّلاَحِ لِلْكُفَّارِ وَالْبُغَاةِ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ، وَبَيْعِ الرَّقِيقِ لِمَنْ يَفْسُقُ بِهِ أَوْ يُؤَاجِرُهُ لِذَلِكَ، أَوْ إِجَارَةُ دَارِهِ أَوْ حَانُوتِهِ أَوْ خَانِهِ لِمَنْ يُقِيمُ فِيهَا سُوقَ الْمَعْصِيَةِ، وَبَيْعِ الشَّمْعِ أَوْ إِجَارَتِهِ لِمَنْ يَعْصِي اللَّهَ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ إِعَانَةٌ عَلَى مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَيُسْخِطُهُ (١٧»).(١٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾. لاَ يَجُوزُ أَنْ يُعَانَ أَحَدٌ عَلَى الْفَاحِشَةِ وَلاَ غَيْرِهَا مِنْ الْمَعَاصِي ؛ لاَ بِحِلْيَةٍ وَلاَ لِبَاسٍ وَلاَ مَسْكَنٍ وَلاَ دَابَّةٍ وَلاَ غَيْرِ ذَلِكَ». (٢١).

وقال أيضاً - رحمه الله -: «وَإِمَّا تَعَاوُنٌ عَلَى ظُلْمِ الْغَيْرِ، وَأَكْلِ مَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ مُؤَاخَاةِ بَعْضِ مَنْ يَنْتَسِبُ إلَى الْمَشْيَخَةِ وَالسُّلُوكِ لِلنِّسَاءِ، فَيُوَاخِي أَحَدُهُمْ الْمَرْأَةَ الأَجْنَبِيَّةَ، وَيَخْلُو بِهَا. وَقَدْ أَقَرَّ طَوَائِفُ مِنْ هَؤُلاَءِ بِمَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ مِنْ الْفَوَاحِشِ. فَهَذِهِ الْمُؤَاخَاةُ وَأَمْثَالُهَا مِمَّا يَكُونُ فِيهِ تَعَاوُنٌ عَلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كَائِنًا مَا كَانَ: حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ»(٢٢).

قلت: ومن أعظم التعاون عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ «الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي أَحْكَامِهِ أَوْ الْقَوْلُ عَلَيْهِ بِلاَ عِلْمٍ، فَهُوَ مُعِينٌ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (٢٣).

والتعاون على إحياء البدع وإقامتها: ومن ذلك المشاركة في مجالس الذكر المبتدعة والإنفاق عليها والدعوة إليها والتشجيع على غشيانها وفتح مجالات البدع المختلفة مثل الأعياد والاحتفالات البدعية، والحضرات والأوراد الشركية، ولا يفعل هذا إلا أعداء السنة والجهلة بها وما أُحييت بدعة إلا وأميتت سنة.

والتعاون على ما يخالف التوحيد: وهذا له ضروب كثيرة ومن أمثلته المعاونة في بناء المساجد والأضرحة والقباب على القبور والصلاة فيها والارتحال إليها، والذبح والنذر لها، والطواف حولها، وجعل السَّدنة الذين يأخذون النذور والقرابين وجمع التبرعات لصيانتها وترميمها.

وفي رفض التعاون على الإثم والعدوان: يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وهو أن الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، واعتقادات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر، فلا بد له من الناس ومخالطتهم، ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم. وفي الموافقة ألم وعذاب، إذا كانت على باطل، وفي المخالفة ألم وعذاب، إذا لم يوافق أهواءهم واعتقاداتهم، وإراداتهم ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل من الألم المترتب على موافقتهم.

واعتبر هذا بمن يطلبون منه الموافقة على ظلم أو فاحشة أو شهادة زور، أو المعاونة على محرم. فإن لم يوافقهم آذوه وظلموه وعادوه، ولكن له العاقبة والنصرة عليهم إن صبر واتقى، وإن وافقهم فرارًا من ألم المخالفة أعقبه ذلك من الألم أعظم مما فر منه، والغالب أنهم يسلطون عليه، فيناله من الألم منهم أضعاف ما ناله من اللذة أولاً بموافقتهم.

فمعرفة هذا ومراعاته من أنفع ما للعبد، فألم يسير يعقب لذة عظيمة دائمة أولى بالاحتمال من لذة يسيرة تعقب ألما عظيما دائما، والتوفيق بيد الله» اهـ(٢٤).

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - في رسالة «الصلاة» ما نصه: «إن الشيطان يريد أن تسكتوا عن الكلام فيما أمركم الله به، وأن تدعوا التعاون على البر والتقوى الذي أوصاكم الله به، والنصيحة التي على بعضكم لبعض، لتكونوا مأثومين مأزورين، وأن يضمحل الدين ويذهب، وأن لا تحيوا سنة ولا تميتوا بدعة، فأطيعوا الله بما أمركم به من التناصح والتعاون على البر والتقوى، ولا تطيعوا الشيطان؛ فإن الشيطان لكم عدو مبين، بذلك أخبركم الله عز وجل فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر:٦]، وقال تعالى: ﴿ يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]»(٢٥).

الهوامش

١- متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ ح (٥٧٦١)، والإمام مسلم ـ رحمه الله ـ ح (٤٠٢١).
٢- صحيح: صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في «سنن أبي داود» ح (٤٨١٧).
٣- صحيح: صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» ح (٢٩٧٠).
٤- صحيح: صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الجامع» ح (٤٥٥٦).
٥- (فتح الباري) (٤٤٧/١٧).
٦- متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ ح (٥٥٦٣)، والإمام مسلم ـ رحمه الله ـ ح (١٦٧٦).
٧- (شعب الإيمان ٦ / ١٠٧).
٨- (فتح الباري) (٤٤٧/١٧).
٩- رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» ح (٢٢٦٣).
١٠- (فتح الباري) (٣٤٨/٧ ـ ٣٥١ بتصرف).
١١- رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» ح (٢٣٠٦).
١٢- (فتح الباري) (٧/ ٤٢٥ بتصرف).
١٣- رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» ح (٢٨١١).
١٤- (الاستقامة ٢ / ٢٥٦).
١٥- (إعلام الموقعين عن رب العالمين)(٣٢٠/٣).
١٦- (إعلام الموقعين عن رب العالمين)(٣٠٤/٣).
١٧- قلت: هذا مع اليقين بالفعل لذا قال ـ رحمه الله ـ «لمن يفعل» أي أن المنع مبني على اليقين أما على الظن أو الاحتمال في لازم فاسد.
١٨- (إعلام الموقعين عن رب العالمين)(٣٧٠/٣).
١٩ - (مجموع فتاوى ابن تيمية) (٣٣٩/٧).
٢٢- في «مجموع الفتاوى» (٢١١/٩).
٢٣- (إعلام الموقعين عن رب العالمين)(٦٣/٥).
٢٤- (إغاثة اللهفان ٢ / ١٩٣).
٢٥- نقلاً عن (القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - لعبدالعزيز بن عبدالله الراجحي) ص. ١٩

درر البحار
(51)

مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

إعداد
علي حشيش

١٤٤٦- عن عائشة رضي الله عنها أنها أمَرَتْ أَنْ يُمرَّ بجنَازةِ سَعْدِ بْنِ أبي وقَّاص في المَسْجدِ فتُصلِّي عليه. فأنْكرَ النَّاسُ ذَلِكَ علَيْها فقالت: ما أَسْرعَ ما نَسيَ النَّاسُ، ما صلَّى رَسُولُ اللَّه ﷺ على سُهَيْلِ بنِ البَيْضَاءِ إلاَّ في المَسجدِ». م(٩٧٣)، ط(٥٣٨)، حم(٢٤٥٢)، (٢٤٥٥٣)، (٢٦٣٠٥)، د(٣١٨٩)، (٣١٩٠)، ت(١٠٣٣)، ن(١٩٦٦)، (١٩٦٧)، جه (١٥١٨)، حب (٣٠٦٥)، (٣٠٦٦).

١٤٤٧- عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبيِّ أَنْ أَسْتَغفِرَ لأُمِّي، فلَمْ يَأْذن لي، واسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأذِنَ لي».

م(٩٧٦)، حم(٩٦٩٤)، د(٣٢٣٤)، ن(٢٠٣٣)، جه (١٥٧٢)، حب (٣١٦٩)، هق (٧٦/٤).

١٤٤٨- عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيب الأَسْلَمى رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيارةِ القُبُورِ فزُورُوها، ونَهَيْتُكُمْ عَنْ لحُوم الأَضَاحِي فوْقَ ثَلاثٍ، فَأَمْسِكُوا ما بَدَا لَكُمْ، ونَهَيْتُكُمْ عَنْ النَّبِيذِ إلاَّ في سِقَاءٍ، فاشْرَبُوا في الأَسْقِيةِ كُلِّهَا، ولاَ تَشْرَبُوا مُسْكِرًا».

م(٩٧٧)، حم (٢٣٠١٩)، (٢٣٠٤٦)، (٢٣٠٦٧)، (٢٣٠٧٧)، (٢٣٠٧٨)، (٢٣٠٧٩)، (٢٣١٠٠)، د(٣٢٣٥)، ت(١٠٥٤)، (١٥١٠)، (١٨٦٩)، ن(٢٠٣١)، (٤٤٤١)، (٥٦٦٨)، (٥٦٦٩)، (٥٦٩٤)، جه (٢٤٠٥)، حب (٣١٦٨)، هق (٧٦/٤، ٧٧).

١٤٤٩- عن جابرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ برَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ(٤)، فلَمْ يُصلِّ عليه». م(٩٧٨)، حم (٢٠٩٠٦)، د (٣١٨٥)، ن(١٩٦٣)، طب (١٩٣٢/٢)، هق (١٩/٤).

١٤٥٠- عن جابر بنِ عبد الله رضي الله عنهما أنه سَمِعَ النبي ﷺ قال: «فِيمَا سَقَتِ الأَنهارُ والغَيْمُ العُشُور وفيما سُقِي بالسَّانيةِ نِصْفُ العُشْرِ». م(٩٨١)، حم (١٤٦٧٢)، (١٤٦٧٢)، (١٤٨٠٩)، د(١٥٩٧)، ن(٢٤٨٨).

١٤٥١- عن ثَوْبانَ رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنفِقُه على عيالِه، ودينارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ على دابتِه في سَبِيلِ اللهِ، ودينَارٌ يُنْفِقُهُ علَى أصْحابِه في سَبيل اللَّه».

م(٩٩٤)، حم (٢٢٤٦٩)، (٢٢٥١٦)، ت(١٩٦٦)، ن(٩١٨٢/٥- الكبرى)، جه (٢٧٦٠)، حب (٤٢٤٢)، هق (١٧٨/٤)، (٤٦٧/٧).

١٤٥٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبيل الله، ودينار أنْفَقْتَهُ فِي رَقَبةٍ، ودِينَارٌ تَصدَّقْتَ بِهِ علَى مِسْكِينٍ، ودينارٌ أنْفقتهُ على أَهلِكَ، أعْظَمُها أَجْرًا الذي أَنْفقْتَهُ علَى أَهْلِكَ». م(٩٩٥)، حم (١٠١٢٥).

١٤٥٣- عَن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو رضي الله عنهما قال: قَال رسُولُ اللهِ ﷺ: «كفَى بِالمْرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبس عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ». م(٩٩٦)، حب (٤٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٢/٤)، (٨٧/٥).

١٤٥٤- عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسُول اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ فِيكُمْ اليَوْمَ صائِمًا؟» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قال: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكمُ اليومَ جنَازَةً؟» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال:

«فَمَن أَطْعَمَ اليومَ مِنْكم مِسكيناً؟» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال: «فَمَنْ عَادَ اليَوْمَ مِنْكُمْ مَرِيضاً؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ».

م(١٠٢٨)، ن(٥/٨١٠٧- كبرى).

١٤٥٥- عن أبي أُمَامةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا ابْنَ آدمَ، إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلِ الفَضْلَ خيرٌ لَكَ، وإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلامُ على كَفَافٍ، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى».

م(١٠٣٦)، حم (٢٢٣٢٨)، ت (٢٣٤٣).

١٤٥٦- عن عَبد اللَّه بن عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ». م(١٠٥٤)، حم (٦٥٨٣)، ت(٢٣٤٨)، جه (٤١٣٨)، هق (١٩٦/٤)، حب (٦٧٠).

١٤٥٧- عَن عَمرو بنِ العاصِ رضي الله عنه أَنَّ رسُول اللَّهِ ﷺ قال: فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنا وَصِيامِ أهل الكِتَابِ ؛ أَكلةُ السَّحَرِ».

م(١٠٩٦)، حم (١٧٨١٧)، د (٢٣٤٣)، ت (٧٠٩)، ن (٢١٦٥)، دي (١٦٩٧)، حب (٦٤٧٧)، ابن خزيمة (١٩٤٠).

١٤٥٨- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلاَ يُنكَحُ وَلاَ يَخْطُبُ». م(١٤٠٩)، د(١٨٤١)، ت(٨٤٠)، ن(٢٨٤٢، ٥٤١٣)، جه(١٩٦٦)، حم (٤٠١)، (٤٦٢).

١٤٥٩- عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلاَلٌ.

م(١٤١١)، د(١٨٤٣)، ت(٨٤٥)، جه(١٩٦٤)، حم (٢٦٨٩٢)، حب(٤١٣٦)، طب (١٠٥٩).

١٤٦٠- عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ أَخو الْمُؤْمِنِ، فَلاَ يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخيهِ. وَلاَ يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخيهِ حَتَّى يَذَرَ». م(١٤١٤)، جه(٤٢٤٦).

١٤٦١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشِّغَارِ.

م(١٤١٦)، ن(٥٤٩٣)، جه (١٨٨٤).

١٤٦٢- عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ في نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا» م(١٤٢١)، د(٢٠٩٨)، ت(١١٠٨)، ن(٥٣٧١)، جه (١٨٧٠)، حم (١٨٨٨).

١٤٦٣- عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تُحَرِّمُ المَصَّةُ والمَصَّتَانِ». م(١٤٥٠)، م(٢٠٦٣)، ت(١١٥٠)، ن(٥٤٥٠)، جه (١٩٤١)، حم (٢٦١٥٥٩).

١٤٦٤- عَنْ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلاثًا. وَقَالَ: «إِنَّه لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ، إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ، وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي».

م(١٤٦٠)، د(٢١٢٢)، ن(٨٩٢٥)، جه (١٩١٧)، حم (٢٦٥٦٦)، ط (١١٢٣).

١٤٦٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ». م(١٤٦٧)، ن(٣٢٣٢)، جه (١٨٥٥).

١٤٦٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ». أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ». م (١٤٦٩)، حم(٨٣٧١).

مختارات من علوم القرآن

فضائل ولطائف سورة آل عمران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

فنستكمل حديثنا حول لطائف وفضائل سورة آل عمران، ونتحدث بعون الله سبحانه وتعالى عن قول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّـهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

إعداد/ مصطفى البصراتي

الخطاب للرسول ﷺ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب إذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم تولوا، يريدون أن تكون السيادة لهم، لا لغيرهم، فأمر الله نبيه ﷺ أن يبتهل إلى الله بهذا الدعاء المتضمن قدرة الله على نقل النبوة التي يتبعها المُلك من بني إسرائيل إلى العرب.

فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله، وأنه هو سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء لا غيره.

فالأول: تفرده بالملك، والثاني: تفرده بالتصرف فيه، وأنه سبحانه هو الذي يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه، وأن الخير كله بيديه ليس لأحد معه منه شيء، ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شرًا بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل، والحكمة والمصلحة لا تخرج عن ذلك، وهذا كله خير يُحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت». فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شرًا لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شرًا.

وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر: وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله، لم يكن شرًا، فعلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك، فإن منها القدوس، السلام، العزيز، الجبار، المتكبر. فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّـهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾. ﴿اللهم﴾: في كلام العرب خاص بنداء الله تعالى في الدعاء، قال الخليل بن أحمد وسيبويه وجميع البصريين أن أصل (اللهم): يا الله. ولما كثر حذف النداء معه، قال النحاة: إن الميم عوض من حرف النداء. يريدون أن لحاق الميم باسم الله في هذه الكلمة لما لم يقع إلا عند إرادة الدعاء صار غنيًا عن جلب حرف النداء اختصارًا، وليس المراد أن الميم تفيد النداء، فجمهور النحاة على أن الميم عوض عن حرف النداء المحذوف، وأنه تعويض غير قياسي، وأن ما وقع على خلاف ذلك شذوذ.

قال النضر بن شميل: من قال «اللهم» فقد دعا الله بجميع أسمائه كلها، وقال الحسن: «اللهم» مجمع الدعاء.

ومعنى قول النضر: إن «اللهم» هو الله زيدت فيه الميم فهو الاسم العلم المتضمن لجميع أوصاف الذات.

وقوله: ﴿مالك الملك﴾. مالك: اسم فاعل، والملك: يحتمل أن يكون بمعنى المملوك، أي: مالك المملوكات كلها، ويحتمل أن يكون المراد به: التدبير، أي مالك تدبير الخلائق كلها.

والأمران ثابتان لله عز وجل، فهو مالك المملوكات كلها بأعيانها، وهو مالك التصرف فيها، لا يشاركه في ذلك أحد، هو الذي يدبر الأمر ويملك المأمور.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾، والأصح أن «تؤتي» هذه جملة استئنافية لبيان كيف يكون ملك الله عز وجل لهذا المملوك، فقال: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾، وقال: ﴿تؤتي﴾ أي: تعطي، ولم يقل: تُملِّك ؛ لأن ما يكون للعبد من المُلك إنما هو من إعطاء الله تعالى إياه، وتسليطه عليه، ولهذا لا يتصرف المالك من المخلوقين فيما ملك، إلا على حسب الشريعة التي شرعها الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: الفعل «تؤتي» من الأفعال التي تتضمن مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، ومفعول الأول: الملك، ومفعول الثاني: من تشاء، وكل شيء له سبب إما شرعي، وإما كوني، لأن هذا مقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى، وإذا كان كذلك فإن إيتاء الله الملك لمن يشاء مقيد بسببه، فلا بد أن يكون له سبب، فالملك قد يكون مستقلاً عن الرسالة، وقد يكون تابعًا للرسالة، فإذا كان مبنيًا على الشريعة صار تابعًا للرسالة، وإذا كان غير مبنيٍّ على الشريعة كان مستقلاً، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فهذا ملك مستقل عن الرسالة ؛ لأن الذي حاج إبراهيم كافر، وأما قول النبي ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها». (رواه مسلم)، فالمراد بذلك هنا: ملك تابع للرسالة.

والمشيئة هنا ككثير من الآيات متعلقة بالحكمة.

وقوله: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾:

قوله: ﴿وتنزع الملك﴾:يحتمل وجهين:

الوجه الأول: نزع بعد ثبوت.

والوجه الثاني: نزع بمعنى المنع.

فعلى الأول: يكون فيه إشارة إلى أن الله تعالى يملك من يشاء من خلقه، ثم ينزع عنه الملك، وكم من ملك مَلَكَ ثم زال ملكه، إما بالغلبة له، أو بموت أو بغير ذلك، ويحتمل أن تكون بمعنى المنع، أي: تُملِّك من شئت، ولا تُملِّك من شئت، وكلا المعنيين صحيح.

وقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: والإعزاز هنا: يعني التقوية، أي تجعله عزيزًا قويًا غالبًا على غيره، وكذلك ﴿تذل من تشاء﴾، وهذا عام، قد يعز الله الإنسان بدينه وعلمه وإيمانه، وإن لم يكن ملكًا، وقد يعزه بملكه، وكذلك في الذل قد يذله بالمعصية، وبالغلبة، فالذل بالمعصية في مقابل العز بالإيمان، والذل بالغلبة في مقابل العز بالملك، والذين يعزهم الله هم من ذكرهم الله بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. فالله يعز الرسل وأتباعهم، كما قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

ومن أسباب العزة: الإيمان، سواء كان الإنسان ملكًا أم غير ملك. ومن أسباب العزة: الاستعداد والحذر والحزم والقوة والنشاط.

ومن أسباب الذل: أن يعجب الإنسان بنفسه، وأن يتعرض لما لا يمكنه دفعه، ولهذا جاء في الأثر: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه». قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق». رواه أحمد والترمذي، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب.

وقوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾: «الخير»: بيد الله عز وجل، والخير كل ما فيه مصلحة ومنفعة للعبد، سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة، فالرزق والصحة والعلم والخير والعمل الصالح أيضًا خير، وهذا كله بيد الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وهنا قد يقال: لماذا ذكر أن الخير بيده ولم يذكر الشر، مع أن الخير من الله والشر من الله؟ فقال بعض المفسرين: إن هذا من باب حذف المقابل المعلوم، كقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وزعموا أن تقدير الآية: بيده الخير والشر.

ولكن هذا وَهمٌ باطل، وليس المقام مقام حذف واقتصار، بل المقام مقام ثناء، والثناء ينبغي فيه البسط والتوسع في الكلام، فالحذف غير مناسب لفظًا، وهو باطل معنى، لأن الله عز وجل لا يضاف إليه الشر، ولا يجوز أن نقول: بيده الشر ؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «والشر ليس إليك».

(رواه مسلم).

فلا يُنسب إلى الله الشر قولاً ولا فعلاً، فالله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ويفعل الخير ولا يفعل الشر، وإذا وجد شر في المفعولات فهو شر من وجه،

وخير من وجه آخر، لكن إيجاد الله لهذه الأشياء الشريرة ليس شراً، بل هو خير محض، فالشر إذن هو في المفعولات لا في الأفعال، أما الخير فهو في المفعولات والأفعال، ولهذا ينسب إلى الله فيقال: بيده الخير، ولنضرب لهذا مثلاً بالسباع والهوام، فالسباع: فيها شر، والهوام اللاسعة واللادغة فيها شر بلا شك، والشياطين كلها شر، لكن إيجاد الله لهذه الأشياء خير، والحكمة توجبه، لأنه لا يمكن أن تعرف تمام قدرة الله إلا بخلق الأشياء المتضادة. ثم في خلق هذه الأشياء من إصلاح العبد، واللجوء إلى ربه، والاستعاذة به من هذه الأمور الشريرة، خير كثير، والخير لا يعرف إلا بضده.

إذن يجب أن نُبقي الآية على ظاهرها بدون تقدير.

وقوله: ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: ومن قدرتك تغيير هذه الأشياء العظيمة، إيتاء الملك ونزعه، والإعزاز والإذلال، كل هذه أمور عظيمة لا يقوم بها إلا القادر عليها، سبحانه وتعالى، والآية عامة، فهو قدير على كل شيء، على ما شاءه وما لم يشاه، ولهذا نعرف أن تقييد بعض الناس القدرة بالمشيئة خطأ، لأن الله قادر على ما يشاء وعلى ما لا يشاء، وأما قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩]،

فالمشيئة هنا ليست عائدة على القدرة، ولكنها عائدة على الجمع، يعني: إذا أراد جمعهم، وشاء جمعهم، فهو قدير عليه، لا يعجز عنه.

من فوائد الآية الكريمة:

١- تعليم الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يفوض الأمر إليه في قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾، والخطاب الموجه للرسول ﷺ موجه لأمته، إما عن طريق التأسي، وإما لأنه الإمام، والخطاب للإمام خطاب له ولمن اتبعه، إلا إذا دلَّ الدليل على أنه خاص به فيكون خاصاً به.

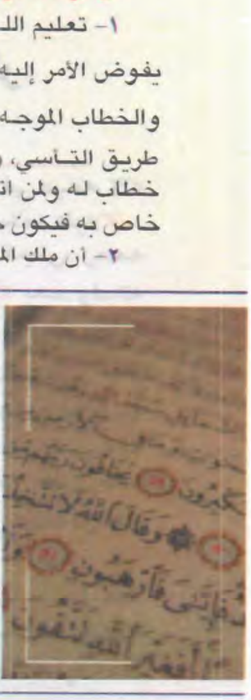

٢- أن ملك المخلوقين ليس ملكًا استقلاليًا، بل هو بإعطاء، لقوله: ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ ﴾، والملك الذي بإعطاء لا شك أنه ناقص عن ملك المعطي، وقد جاء في الحديث الصحيح: «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى».

٣- أن الله سبحانه وتعالى تام الملك والسلطان، لكونه يذل من يشاء، ولو بلغ ما بلغ من العزة البشرية، فإن يد الله فوقه مهما بلغ الإنسان من العز، فالله سبحانه قادر على إذلاله، ولذلك أمثلة كثيرة ؛ منها: قصة فرعون، فإن فرعون طغى وقال: «أنا ربكم الأعلى»، وافتخر بما عنده من الأنهار، فأهلكه الله بمثل ما افتخر به، فأغرقه بالماء، وعادٌ استكبروا في الأرض وقالوا: «من أشد منا قوة»، فأهلكهم الله تعالى بالريح، وهي من ألطف الأشياء، لكنها من أشد الأشياء مع لطافتها، فالله عز وجل يذل من يشاء.

ويتفرع على هذه الفائدة: أننا متى علمنا أن الإعزاز والإذلال بيد الله، فإننا لا نطلب العزة إلا به عز وجل، ولهذا نقول: من ابتغى العزة من غير الله فهو ذليل، وكذلك يتفرع على هذا أنه ينبغي للإنسان أن يستعيذ بالله دائمًا من الذل الحسي والمعنوي، لأن الله تعالى هو الذي بيده الإذلال، من شاء أذله، ومن شاء أعزه.

٤- أن الله سبحانه بيده الخير، ويتفرع على هذه الفائدة: أنه إذا كان الخير بيده، فلا يطلب الخير إلا منه ؛ لأنه لا أحد بيده الخير إلا الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يطلب منه الخير.

٥- أن الشر لا يضاف إلى الله، وإن كان عز وجل هو الذي خلق كل شيء، لأن أفعاله كلها خير، والشر في المفعولات، ثم هذا الشر في المفعولات قد يكون خيرًا، فكم من مرض صار سببًا لصحة الجسم، وكم من آفات في الزروع وغيرها، صارت أسبابًا للنمو الاقتصادي من جهة أخرى.

٦- عموم قدرة الله؛ لقوله: ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وهذا يشمل ما كان من أفعاله وما كان من أفعال الخلق، فيكون في ذلك رد على القدرية الذين يقولون: إن الله لا يخلق أعمال العباد ولا يريدها، وأن الإنسان مستقل بإرادته وعمله، فإذا كانت بقدرة الله قلنا: يلزم أن يكون مرادًا ومخلوقًا لله، لأنه ما دام الأمر بقدرته، فلا شك أنه يكون مخلوقًا له، ومرادًا له.

٧- الاستغناء بالثناء عن الدعاء ؛ لأنك إذا تأملت الآية هذه لم تجد فيها دعاء أي طلبًا، لكن الثناء مما يتوسل به إلى الله.

فهنا الثناء يتضمن ما تدل عليه هذه الجملة، فإذا قلت: أنت الذي تعز وأنت الذي تذل، فمعنى هذا، أو فمقتضى هذا: أنك تسأل الله أن يعزك ولا يذلك.

وفقنا الله وإياك إلى ما يحبه ويرضاه، وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

الحلقة الأخيرة

خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين

إعداد/

د. عبدالله شاكر

نائب الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد تحدثت فيما مضى عن بعض ما يجب للنبي ﷺ من حقوق على أمته، وأواصل في هذا اللقاء بعون الله تعالى- الكلام حول ذلك فأقول وبالله التوفيق:

*٥- **عدم التقديم بين يديه وعدم رفع الصوت عنده- ﷺ**- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١، ٢].*

ففي هاتين الآيتين جملة من الآداب التي أدّب الله بها المؤمنين مع النبي ﷺ، وأولها عدم التقديم بين يديه، أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، ولا تقطعوا أمرًا دون الله ورسوله، ولا تعجلوا به، وقد ذكر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لا تقولوا خلاف القرآن والسنة.

وعن مجاهد أنه قال فيها: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.

وعن سفيان الثوري: لا تقضوا أمرًا دون رسول الله ﷺ(١).

وثانيها: عدم رفع الصوت بين يدي النبي ﷺ، وقد نهى الله عن ذلك كما هو صريح في الآية السابقة، وقد ذكر البخاري أن سبب نزول هذه الآية: أنه لما قدم وفد بني تميم على النبي ﷺ، أشار أبو بكر رضي الله عنه أن يؤمر عليهم القعقاع بن معبد، وأشار عمر رضي الله عنه أن يؤمر عليهم الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، فقال له عمر: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾(٢).

وهذا نهي عام لكل أحد يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، ويدخل فيه من يرفع ويقدم كلام إمامه وشيخه على كلام رسول الله ﷺ، وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته، لأنه محترم حيًا وفي قبره صلوات الله وسلامه عليه(٣).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي- رحمه الله-: «ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وبه تعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط وأصواتهم مرتفعة ارتفاعًا مزعجًا كله لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر، وقد شدد عمر رضي الله عنه بالنكير على رجلين رفعا أصواتهما في مسجده ﷺ، وقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا»(٤).

كما نهى الله في الآية عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار واحترام، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ

واجب الأمة نحو نبيها محمد (ﷺ)

الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

٦- تحريم إيذائه ﷺ:

حرَّم الله على الأمة إيذاءه ﷺ ببعض ما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضًا، وذلك مثل نكاح أزواجه من بعده، وهذا من خصائص النبي ﷺ، وقد خصه الله بأحكام وشرَّفه بمعالم ومعانٍ لم يشاركه فيها أحد، تمييزًا لشرفه وتنبيها على مرتبته، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ومعنى الآية: أنه لا يصح ولا يستقيم أن تؤذوا رسول الله ﷺ بأي شيء كائنًا ما كان، ومن جملة ذلك زواج زوجاته من بعده، لأنهن أمهات المؤمنين، ولا يحل للأولاد نكاح الأمهات، وإذا كان يحرم إيذاؤه على هذا الوجه المخصوص، فإيذاؤه بسبه، أو الطعن عليه، أو أي لون من ألوان الإيذاء يكون أشد وأنكى، وقد لعن الله في كتابه من آذى الله ورسوله، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، ومن أبعده الله فهو المحروم، ولا يرجى له خيرٌ أبدًا، والآية قد لعنته في الدنيا والآخرة، ومن أبعد في الآخرة فقد خاب وخسر، لأن الله لم يحصر جزاءه في الإبعاد، بل أوعده بالعذاب فقال: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾.

ويا ليت المجرمين المنحرفين بعد ذلك يكفون عن إيذائه، ونحن نسمع بين الحين والآخر من يتعرض بما لا يليق لشخصه ﷺ، ووعيدهم عند الله شديد، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾.

٧- وجوب طاعته واقتفاء أثره ﷺ:

إن طاعة الرسول ﷺ واجبة بنص القرآن والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى مبينًا وجوب النزول على حكم النبي ﷺ في كل خلاف: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء ٦٥].

في هذه الآية يقسم رب العالمين بربوبيته لرسوله ﷺ مخاطبًا له في ذلك خطاب التكريم، وقد بينت الآية أن الإيمان لا يكون صحيحًا إلا بثلاثة أمور لا بد من تحقيقها: الأول: تحكيمه ﷺ في كل قضية وقع فيها شجار أو خلاف، والثاني: عدم وجود حرج أو ضيق من حكمه ﷺ، والثالث: التسليم والإذعان والانقياد لحكمه عليه الصلاة والسلام، وهذه الآية تدل على عظمة النبي ﷺ ؛ لأن الله تعالى أوجب الانقياد لحكمه وبالغ في ذلك الإيجاب، وبين أنه لا بد من حصول ذلك الانقياد في الظاهر وفي القلب، وذلك ينفي صدور الخطأ عنه ﷺ.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «واستدلوا بالآية أيضًا على أن النص لا يعارض ولا يخصص بالقياس، فمن بلغه حديث الرسول ﷺ ورده بمخالفة قياسه له فهو غير مطيع للرسول ﷺ، ولا ممن تصدق عليه الخصال الثلاثة المشروطة في صحة الإيمان بنص الآية، ومخالفة نص القرآن بالقياس أعظم جرمًا وأضل سبيلاً، وتدل الآية بالأولى على بطلان التقليد فمن ظهر له حكم الله أو حكم رسوله ﷺ في شيء وتركه إلى قول الفقهاء الذين يتقلد مذهبهم كان غير مطيع لله ولرسوله كما أمر الله عز وجل، وإذا قلنا: إن للعامي أن يتبع العلماء فليس المعنى أنه يتخذهم شارعين ويقدم أقوالهم على أحكام الله ورسوله ﷺ المنصوصة، وإنما يتبعهم بتلقي هذه النصوص عنهم والاستعانة بهم على فهمها، لا في آرائهم وأقيستهم المعارضة للنص»(٥).

وعليه أقول: إن كل حديث عن رسول الله ﷺ رواه جامعوا الصحاح، أو صححه من يرجع إليه في التصحيح من أئمة الحديث تعيَّن على كل مؤمن بالله ورسوله الأخذ به وقبوله ظاهرًا وباطنًا، وأن لا يلتمس مخارج لرده أو تأويله، ليخرج به عن ظاهره، لمذهب تقلده، أو عصبية نشأ عليها، وقال الإمام الفُلاني في «إيقاظ الهمم»: «إن حكم الحاكم المجتهد إذا خالف نص كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ

وجب نقضه ومنع نفوذه، ولا يعارض نص الكتاب والسنة بالاحتمالات العقلية والخيالات النفسانية والعصبية الشيطانية، بان يقال: لعل المجتهد قد اطلع على هذا النص وتركه لعلة ظهرت له، أو أنه اطلع على دليل آخر ونحو هذا، مما لهج به فرق الفقهاء المتعصبين، وأطبق عليه جهلة المقلدين فافهم»(٦).

وقال ابن القيم: «... فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة، وقد أقسم ﷺ بأن لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)(٧).

وأقسم الله سبحانه بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجًا مما حكم به ثم يسلم له تسليمًا، وينقاد له انقيادًا، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله ﷺ، فليس لمؤمن أن يختار شيئًا بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر فأمره حَتْمٌ، فلا حكم لأحد معه، ولا قول لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه»(٨).

وقد قرن الله عز وجل طاعة الرسول ﷺ بطاعته في آيات كثيرة من القرآن ؛ كقوله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، واعتبر القرآن الكريم طاعة الرسول ﷺ طاعة لله واتباعه حبًا لله، فقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٠].

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره للآية: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٩). ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، وإنما الشأن أن تُحَبَّ. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية»(١٠).

والحديث المذكور آنفًا يفيد وجوب الرجوع إلى حكم السنة، وترك ما خالفها امتثالاً لأمر الله تعالى بإيجاب طاعة رسوله ﷺ، وهذا هو نفس الاعتصام بالسنة وحقيقته، وقد كان صحابة النبي ﷺ يستفيدون أحكام الشرع من القرآن الكريم الذي يتلقونه عن الرسول ﷺ، وكثيرًا ما كانت تنزل آيات القرآن الكريم مجملة أو مطلقة، وكان النبي ﷺ هو الذي يشرحها ويفصلها، وقد كانوا- رضوان الله عليهم- يلتزمون حدود أمره ونهيه، ويتبعونه في أعماله وعباداته ومعاملاته، وقد بلغ من اقتدائهم برسول الله ﷺ، أن كانوا يفعلون كما يفعل ويتركون ما ترك دون أن يعلموا لذلك سببًا، أو يسألوه عن علته وحكمته، فقد أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: إني اتخذت خاتمًا من ذهب فنبذه، وقال: إني لا ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم».

وقد بوب البخاري لهذا الحديث بقوله: «باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ»، وعلق الحافظ ابن حجر على هذه الترجمة بقوله: «والأصل فيه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وقد ذهب جمع إلى وجوبه لدخوله في عموم الأمر بقوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه»، وبقوله: «فاتبعوني يحببكم الله»(١١).

ولما أمر الرسول ﷺ أصحابه عام الحديبية بالتحلل تأخروا عن تنفيذ الأمر رجاء أن يأذن لهم في القتال، وأن ينصروا فيكملوا عمرتهم، قام فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله، أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام، فخرج، فلم يكلم أحدًا منهم، حتى فعل ذلك ؛ نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه،

فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا»(١٢).

فتأمل كيف كانت سرعتهم واستجابتهم لأفعاله ﷺ، وتقديم قوله وفعله على ما يرغبونه دون سؤال أو استفسار، وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سمع النبي ﷺ لما استوى على المنبر يوم الجمعة يقول: «اجلسوا»؛ فجلس على باب المسجد، فرآه رسول الله ﷺ فقال: «تعال يا عبد الله بن مسعود»(١٣).

وهكذا كان صحابة النبي ﷺ يعتبرون قوله وفعله وتقريره حكمًا شرعيًا يجب قبوله والعمل به، ولم يخالف في ذلك واحد منهم، بل إنهم كانوا يعتبرون ما جاء به في سنته كالقرآن في العمل به، ويدل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لعنَ الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يُقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئن كنت قرأتِه لقد وجدتِه، أما قرأتِ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾؟ قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه. قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئًا. فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها ».

والشاهد من الحديث إطلاق ابن مسعود رضي الله عنه لعن من فعل ذلك إلى كتاب الله، وقد فهمت أم يعقوب ذلك، وقررها على هذا الفهم، وبين لها أنه أراد بذلك قول رسول الله ﷺ، وأن كلامه وحي من عند الله كالقرآن، ويؤكد ذلك حديث المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقرُوه، فإن لم يقْرُوه فله أن يعقبهم بمثل قراهُ»(١٥).

قال الخطابي: «يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والروافض من الفرق الضالة، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب، فتحيروا وضلوا...».

وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ شيء كان حجة بنفسه، فأما ما رواه بعضهم أنه قال: «إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه»، فإنه حديث باطل لا أصل له، وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعه الزنادقة»(١٦).

وقد أخبر الله في كتابه عن مهمة الرسول ﷺ بالنسبة للقرآن، وأنه مبين له، موضح لمراميه وآياته، فقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي- رحمه الله-: «وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية حكمتين من حكم إنزال القرآن على النبي ﷺ: إحداهما: أن يبين للناس ما نُزِّلَ إليهم في هذا الكتاب من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، ونحو ذلك، وقد بين هذه الحكمة في غير هذا الموضع أيضًا كقوله: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾، والحكمة الثانية: هي التفكر في آياته والاتعاظ بها كما قال هنا: «ولعلهم يتفكرون»(١٧).

وقد آتاه الله الكتاب والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم ويزكيهم بما أنزل الله عليه فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقد ذهب جمهور العلماء المحققين إلى أن المراد بالحكمة المذكورة في الآية سنة النبي ﷺ.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «فذكر الله وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ»(١٨).

وتفسير الحكمة هنا بأنها السنة وجيه، لأن الله تعالى عطفها على الكتاب والعطف يقتضي المغايرة، لأنها في معرض المنة من الله علينا بتعليمنا إياها ولا يمُنّ إلا بما هو حق وصواب، فتكون الحكمة واجبة الاتباع كالقرآن، ولم يوجب علينا إلا اتباع القرآن والرسول ﷺ، فتعين أن تكون الحكمة هي ما صدر عن الرسول ﷺ من أفعال وأقوال وتقريرات في

معرض التشريع(١٩).

وقد بوب البخاري في صحيحه لقول الله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»، ثم ساق حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

قال ابن حجر في شرحه: «والنكتة في إعادة العامل إلى الرسول ﷺ دون أولي الأمر مع أن المطاع في الحقيقة هو الله تعالى كون الذي يعرف به ما يقع من التكليف هما القرآن والسنة، فكان التقدير: أطيعوا الله فيما نص عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول ﷺ فيما بين لكم من القرآن وما ينص عليكم من السنة، أو المعنى: أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول ﷺ فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن».

قال الطيبي: «أعاد الفعل في قوله: «وأطيعوا الرسول» إشارة إلى استقلال الرسول ﷺ بالطاعة، ولم يعده في أولي الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته».

وقد وعد النبي ﷺ من أطاعه بدخول الجنة، ومن عصاه بدخول النار، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»(٢١).

وقد جعل الله من لوازم الإيمان ألا يذهب الصحابة حيث يكونون مع النبي ﷺ دون أن يستأذنوه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال ابن القيم: «فإذا جعل الله من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبًا إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه ألا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه فيه» (٢٢).

واعتبر الله تعالى من علامات النفاق الإعراض عن تحكيم الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧، ٤٨].

وإذا نفى الله الإيمان عمن تولى وأعرض عن حكم الرسول ﷺ فما بالك بالمكذبين المجرمين المتطاولين على مقامه ﷺ.

ونحن نسمع- وللأسف الشديد- بين الحين والآخر كذابًا أشرًا ينال من النبي ﷺ.

ولقد كتبت هذه الحلقات المباركات دفاعًا ونصرة ومؤازرة للنبي ﷺ، وما كنت أظن أنها ستتجاوز العشرة، ولكنها كانت هكذا بتوفيق الله، لذا فإني أتوسل إلى الله تعالى وبحبي لنبيه ﷺ أن يغفر لي ولوالدي، وأن يعفو عني، وأن يجعل ما كتبت زلفى لي بين يديه، وأن يحشرني مع حبيبه ومصطفاه ﷺ مع اعترافي بالعجز والضعف والتقصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- تفسير الطبري ج٢٦/٧٤ .

٢- البخاري مع الفتح كتاب التفسير باب ٤٩ ج٨/٥٩٠-٥٩٢

٣- تفسير ابن كثير ج٧/٣٤٧ .

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٧/٦١٧ .

٥- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار ج٥/٢٣٨ .

٦- نقله عنه القاسمي في محاسن التأويل ج٥/١٣٧٥ .

٧- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب ٨ ج١/٥٨، ومسلم في الإيمان باب ١٦ ج١/٦٧، وأحمد في مسنده ج٣/٢٠٧ وغيرهم .

٨- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ج١/٣٧، ٣٨ .

٩- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب ٢٠ ج١٣/٣١٧ .

١٠- تفسير ابن كثير ج٢/ص٢٥ .

١١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٣/٢٧٤ .

١٢- زاد المعاد لابن القيم ج٣/٢٩٥ .

١٣- أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن أبي داود ج١/٢٠٣ .

١٤- أخرجه البخاري في كتاب التفسير- تفسير سورة الحشر ج٨/٦٣٠، ومسلم في كتاب اللباس باب ٣٣ ج١/١٦٧٨ .

١٥- أخرجه أبو داود في كتاب السنة، والترمذي في كتاب العلم، وابن ماجه في مقدمة سننه.

١٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود ج١٢/٣٥٥، ٣٥٦ .

١٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٣/٢٧٥ .

١٨- الرسالة للإمام الشافعي ص٧٨ .

١٩- دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور/ زاهر الألمعي ص٣١٠ .

٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٣/١١١، ١١٢ .

٢١- صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الاعتصام باب٢ ج١٣/٢٤٩ .

٢٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين ج١/٥٨ .

من الآداب الإسلامية الحلقة الخامسة

السلام: التحية المباركة الطيبة

السلام على قارئ القرآن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

أما بعد:

فلقد تحدثنا في العدد السابق عن «السلام على المشغول»، وعن حكم السلام على المصلي، وفي هذا العدد نتحدث بعون الله تعالى عن:

إعداد / **سعيد عامر**

ب- السلام على القارئ للقرآن الكريم

لقد رغب الإسلام في تلاوة القرآن الكريم وتعليمه، وجعل ذلك من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، بل قال الإمام الثوري: إن تعليم القرآن الكريم يفوق سائر الأعمال في الدرجة، ففي الحديث الذي رواه البخاري وغيره من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

ولذا حرص السلف الصالح على تعلم القرآن وتعليمه، بل إن النبي ﷺ حرص على تعليم أصحابه القرآن، إما بنفسه، وإما بتكليف أصحابه للقيام بهذه المهمة، روى أحمد ومسلم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا القرآن، فإذا مر بسجود القرآن سجد وسجدنا معه.

وروى البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن».

وروى الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يشغل، فإذا قدم مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن.

وعلى هذا النهج سار السلف بعد رسول الله ﷺ، فلم يَخْلُ عصر من محفظي القرآن، وعلى سبيل المثال لا الحصر، أبو عبد الرحمن السلمي، عندما سمع حديث عثمان رضي الله عنه: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، فجلس يعلم الناس القرآن تنفيذًا لهذا الوعد.

يقول الحافظ ابن كثير: كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام- يعني مقام تعليم القرآن- فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج. اهـ.

وكان السلف يحبون تعليم القرآن في الصبا؛ لأن الحفظ في الصغر أولى من الحفظ في الكبر، وأشد علوقًا بخاطره، وأرسخ وأثبت. روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم.

ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، وهو من جملة من عنى الله بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صالحا وَقالَ إِنَّنِي مِنَ
المُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

روى الإمام مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة- موضع في المسجد النبوي كان فقراء المهاجرين يأوون إليه- فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان- قيل بالضم، وقيل بالفتح: أحد أودية المدينة الثلاثة وهي بطحان والعقيق وقناة- أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين- ناقة كوماء عظيمة السنام طويلته- في غير إثم ولا قطع رحم؟» فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد، أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل؟».

الإبل أعز وأثمن أموال العرب في صدر الإسلام، فرغب النبي ﷺ أصحابه إلى ما هو أفضل من ذلك، بأن يكون لهم رصيد من الحسنات عند الله أعظم من الإبل عند أصحابها في الدنيا، فكل آية أفضل من ناقة عظيمة السنام، سالمة من العيوب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

روى ابن ماجه والنسائي والدارمي والحاكم وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس». قالوا: يا رسول الله، من هم ؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». صححه الألباني.

وفي هذا بيان منزلة حفاظ القرآن العاملين به والداعين إليه، وأنهم أهل الله، أي أولياؤه وأصفياؤه.

روى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل».

روى أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم وقال الألباني: حسن. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وفي الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

وفي الحديث المتفق عليه أيضا من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجة، طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به، كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر وريحها مر».

فالذي يقرأ القرآن مشغول بلذة التلاوة وبحلاوة التفهم، وبتدبر كلام الله عز وجل، وقد ينسيه ذلك كل من حوله وينقطع عنهم بقلبه وفكره وحواسه، وفي السلام عليه تنغيص له، وتكدير لخلوته وشغل لخاطره، ومنع له من مواصلة التلذذ بكلام الله وحرمان له من أجر القراءة.

لقد اختار الإمام النووي: أنه يشرع السلام على المنشغل بتلاوة القرآن، وأنه يجب عليه الرد، ويرى غيره أن القارئ للقرآن مطلوب منه التدبر، فيعي عقله، ويحضر قلبه، ويستغرق في ذلك كل الاستغراق وينسى ما حوله، وفي إلقاء السلام عليه إفزاع وإيذاء له وإرجاع من هذه الحالة، فإن سلم عليه رد السلام.

ج- السلام على المنشغل بالذكر والدعاء

للذكر والدعاء لذة وبهجة لما في ذلك من إقبال على الله بالكلية، ولما فيه من إعراض عن الدنيا وشواغلها. يقول ابن القيم في منزلة الذكر: وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائمًا يترددون، والذكر منشور الولاية الذي مَنْ أُعْطِيَهُ اتصل، ومَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ، وهو

قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطَّاعَ الطريق، وماؤهم الذي يُطْفِئُون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكُرُبات وتهون عليهم به المصيبات، يَدَعُ القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصِّلُ الذاكر إلى المذكور، بل يَدَعُ الذاكر مَذْكُورًا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان هو غِرَاسُها، فكذلك القلوب بورٌ خرابٌ وهو عمارتها وأساسها، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عَبْدِه ما لم يُغْلِقْهُ العبدُ بغفلته.

(مدارج السالكين ٢/ ٤٤٠، ٤٤١).

قال ابن القيم: وذكر الله يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به، وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بانواع المدح، وذلك لا يتم إلا بتوحيده. (راجع الفوائد ١٧٤).

قال النووي: ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسًا في موضع استقبل القبلة، وجلس متخشعًا متذللاً بسكينة ووقار، مطرقًا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولا يذكر الله إلا في مكان طيب، وينبغي للذاكر أن يكون فمه نظيفًا، وهو محبوب في جميع الأحوال، إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها. (راجع الأذكار للنووي).

ولذا كان السبق للذاكرين، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يُقال له «جُمْدَانُ»، فقال: «سيروا هذان جُمْدَانُ سبق المُفرِدُون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: ﴿ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. ومن السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». متفق عليه، وفي الحديث القدسي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب مني شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». متفق عليه.

وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

ولذا كان في إلقاء السلام على الذاكر إزعاج شديد، لما يؤدي إليه من قطع لذة الذكر، ولهذا كره بعض العلماء السلام على المقبل على الذكر والدعاء.

وما يفعله بعض الناس من السلام على من بجانبه عقب الصلاة فيه منع للمصلي من الاشتغال بسنة الذكر والدعاء عقب الصلاة، وفيه تكدير لصفوه وخلوته مع ربه وإقباله عليه، وإن كان ولا بد فليكن ذلك بعد الفراغ من الدعاء والذكر المأثور عقب الصلاة.

جاء في موسوعة الفقه (٢٥/ ١٦٤)- الكويتية-: وأما السلام على المنشغل بالذكر من دعاء وتدبر فهو كالسلام على المنشغل بالقراءة، والأظهر كما ذكر النووي أنه كان مستغرقًا بالدعاء فجمع القلب عليه، فالسلام عليه مكروه، للمشقة التي تلحقه من الرد والتي تقطعه عن الاستغراق بالدعاء، وهي أكثر من المشقة التي تلحق الآكل إذا سلم عليه ورد في حال أكله، وأما الملبي في الإحرام فيكره السلام عليه ولو سلم عليه رد عليه باللفظ. اهـ.

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

وللحديث بقية إن شاء الله.

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه

الحمد لله الذي سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلاً، وأوضح لهم طرق الهداية، وجعل اتباع الرسول عليها دليلاً، والصلاة والسلام على عبده ونبيه محمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وهداية للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، وبعد:

وقفنا في اللقاء السابق مع قصة هذا الذي انسلخ من دين الله وآياته، واستغرق اللقاء هناك الحديث عن تحقيق بعض الأدلة، وانتهى بنا المطاف إلى ما يمكن تلخيصه فيما يلي:

- إن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله محمدًا ﷺ أن يقص على أمته خبر ذلك الرجل من بني إسرائيل الذي أعطاه الله حججه وأدلته فتعلَّمها ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره فاستحوذ عليه الشيطان فصار من الضالين الهالكين؛ بسبب اتباعه هواه ومخالفته أمر ربه وطاعته للشيطان، ولو شاء الله أن يرفع قدره بما آتاه من الآيات لفعل، ولكن الرجل ركن إلى الدنيا واتبع هواه وآثر لذاته وشهواته، فتركه الله لما اختار، فصار مثله كمثل الكلب الذي يخرج لسانه لاهثًا إن طردته أو تركته فهو لاهث دائمًا، وصار هذا مثلاً لكل من علم الحق وانحرف عنه من اليهود وغيرهم.

والآن يجدر بنا أن نتلمس ما في هذه القصة من دروس وعبر نحن أحوج ما نكون إليها في زمن عمت فيه الفتن وفشى فيه الجهل، مع كثرة المنتسبين إلى العلم، وفرق كبير بين من ينتسب إلى العلم رسمًا واسمًا، وبين العلماء الربانيين الذين بموتهم يُقبض العلم، كما أخبر الصادق المصدوق حيث قال- كما جاء في الصحيح-: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

(رواه البخاري).

والمتأمل في واقع الناس وما يراه من تخبط في الفتوى ومن جرأة على القول على الله بغير علم، يرى مصداق ما أخبر ﷺ، وهناك مشهد آخر عبر عنه الإمام ابن القيم- رحمه الله- في فوائده حين قال: «علماء السوء، جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم. فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له؛ فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق».

وهناك مشهد ثالث وهو مشهد أناس من جلدتنا يتكلمون بألستنا هم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمشاهد كثيرة، ولنعد إلى ما عزمنا على الحديث عنه من فوائد، وعندما أبدأ في ذلك لا يمكنني أن أتعدى الإمام ابن القيم إلى غيره إن وجدت له في الباب شيئًا، وقد وجدت له والحمد لله مادة غزيرة في هذا الباب. قال رحمه الله تعليقًا على الآيات التي نحن بصددها: «شبه- سبحانه- من آتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخسها نفسًا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدها شرهًا وحرصًا، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم،

آياتنا فانسلخ منها

الحلقة الثانية

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

ويستروح حرصًا وشرهًا، ولا يزال يشم دبره دون سائر جسده، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمه، وهو من أمهر الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا، والجيف القذرة المروحة(١) أحب إليه من اللحم، والعذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لا يحب أن يشاركه فيها كلب آخر».

ثم قال: «وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الآخرة- مع وفور علمه- بالكلب في حال لهثه سر بديع وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه: إنما كان لشدة لهفه على الدنيا ؛ لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى». اهـ مختصرًا من «بدائع التفسير».

وأنت تلاحظ أخي القارئ الكريم أن وجه الشبه الجامع بين الذي اتبع هواه وبين الكلب هو اللهث في طلب الدنيا حتى صار طلب الدنيا يتحكم في نبضات قلوب ضحايا الحضارة الحديثة في أوربا وعاصمتها الجديدة اليوم أمريكا، وقد كنت أتساءل كثيرًا عن سبب ولوعهم بالكلاب وحبهم لها، حتى صارت الكلاب جزءًا لا يتجزأ من حياة الصغير والكبير والرئيس والمرؤوس، المرأة والرجل، حتى صارت بينهم وبين الكلاب علاقات حميمة، فالكلب يكون معه أو معها في مجلسه وفي ناديه وفي حديقته وفي سيارته، بل وفي مخدع نومه، وصارت هناك خدمات على أعلى مستوى للكلاب من عناية صحية وتغذية ومشافٍ خاصة بأعداد كبيرة ومراكز عناية خاصة، بل وصارت الكلاب ترث بعضهم، وانتقلت هذه العدوى إلى كثير من الذين وقعوا في أسر الحضارة الغربية، وحسب آخر إحصائية رسمية نُشرت وصل عدد الكلاب في أمريكا إلى واحد وستين مليون كلب، وما خفي كان أعظم، وفي البرازيل وصل عدد الكلاب إلى ثلاثين مليونًا، وفي اليابان عشرة ملايين، هذه الكلاب المثبتة في البطاقات الرسمية.

ومن أعجب ما قرأت وسمعت أخيرًا أن الشباب الياباني من الجنسين صاروا يفضلون تربية الكلاب على تربية الأطفال هربًا من تكاليف تربية الأطفال، ونتيجة لذلك ارتفع سعر الكلب حتى وصل إلى خمسة آلاف دولار.

والأعجب من ذلك ما وقع فيه كثير من المسلمين من تقليد للغرب في هذا السخف، وصارت تربية الكلاب عند كثير منهم من شعارات العولمة، وتقليد أمريكا، حتى صارت الكلاب تقطن الفنادق الكبيرة مع أصحابها نزلاء الفنادق العامة، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمَن». يعني: فمن غيرهم.

(أخرجه الشيخان وغيرهما).

وحكم نجاسة الكلب معلوم، حتى لو شرب الحليب ولبس الحرير ونام فيه، وحكم شرائها وتربيتها حرام، ويستثنى من ذلك ما كان للحراسة في الصحراء أو لصيد، ولكن الناس عندما تنحرف بهم الأهواء يتركون الأصل ويبحثون عن الاستثناء أو بغير استثناء، فهذه بعض آثار تقليد حضارة الأهواء، وما زلنا بعد لم نتكلم بما يكفي عن العلماء الذين لعبت بهم الأهواء، فإلى ذلك إن شاء الله.

هوامش:

١- المروحة: أي فاحت رائحتها الكريهة، وهي أحب للكلاب من اللحم الطازج.

واحة التوحيد

من نور كتـــاب الله

دعاء الأموات يضر ولا ينفع

قال الله تعالى: ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ. يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾

[الحج: ١٢، ١٣].

من هدي رسول الله ﷺ

عدم الغلو فيه ﷺ

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

[متفق عليه].

من دلائل النبوة

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر. فقال الناس: أصيب سلمة فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة. [رواه البخاري].

من فضائل الصحابة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله». [جامع الترمذي].

من جوامع الدعاء

عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: كان رَسُول اللَّه ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والهَرَم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها؛ أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها».

[رواه مسلم].

حِكَمٌ ومَواعِظ

عن الحسن قال: كان عمر رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس! إنه من يتق الشر يوقه، ومن يتبع الخير يؤته.

وعنه قال: قال أبو الدرداء: لو أن عبدا هرب من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت.

عن عمر رضي الله عنه قال: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

[كنز العمال].

إعداد/ علاء خضر

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

قال العلامة محمد حامد الفقي مؤسس أنصار السنة: وهل يستطيع أحد الادعاء إن عليًا أحيا مولدًا للنبي ﷺ ؟ أو أن الحسن والحسين أو أحد أولاد علي رضي الله عنه أَحَدٌ مولدًا لأبيهم ؟ وهل يستطيع أحد أن يقول: إن الحسن أو الحسين رضي الله عنهما بنوا على قبر أبيهما قبة، ووضعا عليه مقاصير النحاس المفضضة وستراه بأستار الحرير وأضاءا عنده الشموع والسرج ؟ فأُشهد الله أن علياً والمؤمنين من أولاد علي رضي الله عنهم مبرءون من كل هذه القباب والمقاصير والأعياد والموالد الشركية الجاهلية.

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا.

وعن قتادة قال: سئل ابن عمر رضي الله عنه: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون ؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال. [مصنف عبد الرزاق]

من أخلاق السلف

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالت: دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته. فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار». [متفق عليه].

من حكمة الشعر

قال أبو الأسود الدؤلي في النمام الذي ينقل كلام الناس ليفسد بينهم:

لا تقبلنْ نميمةً بُلِّغْتَها ... وتحفَّظنْ من الذي أنباكَها
إن الذي أهدى إليك نميمةً ... سينمُّ عنكَ بمثلها قد حاكها

من أمثالنا العربية

«أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ».

وهو سَعْد بن زيد مَنَاة أخو مالك بن زيد مَنَاة وكان آبل زمانه، وعندما تزوج وبَنَى بامرأته، فأورد الإبل أخوه سَعْد، ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فَقَالَ مالك:

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ
مَا هكَذَا يا سَعدُ تُورَدُ الإبل

أخطاء لغوية شائعة

«حَرَصَ»: يُقال: حرِصَ فلانٌ على كذا، قال في اللسان: قال الأزهري: اللغة العالية حَرَصَ يَحْرِصُ، وأما حَرِص يَحْرَصُ فلغة رديئة. والعجب ممن يلفق فيجعل الفعل حَرَصَ: يَحْرِصُ.

«كَبِرَ»: يُقال: كَبُرَ الطفلُ أو الحيوانُ يَكْبُرُ بمعنى «نما». وهو خطأ. والصواب: «كَبِرَ يَكْبَرُ». وأما «كَبُرَ يَكْبُرُ» فمعناه عَظُمَ وَشَقَّ. قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

حدث في مثل هذا الشهر

١ - بعث خالد بن الوليد إلى بني الحارث سنة ١٠هـ

قال أبو جعفر: فبعث فيها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه في شهر ربيع الآخر، وقيل: في شهر ربيع الأول، وقيل: في جمادى الأولى سرية في أربعمائة إلى بني الحارث بن كعب، فحدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو في جمادى الأولى من سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا فإن استجابوا لك فاقبل منهم وأقم فيهم وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الإسلام، فإن لم يفعلوا فقاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه يدعون الناس إلى الإسلام، ويقولون: يا أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم إليه، فأقام خالد فيهم يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد النبي ﷺ، من خالد بن الوليد، السلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد ؛ يا رسول الله صلى الله عليك، بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركبانًا، قالوا: يا بني الحارث أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إليَّ رسول الله ﷺ، والسلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فكتب إليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كتابك جاءني مع رسلك يخبر أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن يقاتلوا، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. [تاريخ الطبري ٢/١٩٤].

وفي هذا الخبر يتبين للمفترين على الله ورسوله أن الإسلام كان دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يبادر الناس بالسيف كما يزعمون، ثم هل في الأمة الآن من يقوم بالدور الحقيقي في الدعوة إلى الله كما فعل خالد ؟!

المحرم
صفر
ربيع الأول
ربيع الآخر
جمادى الأولى
جمادى
رجب
شعبان
رمضان
شوال
ذو القعدة
ذو الحجة

٢- بعث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عتبة بن غزوان إلى البصرة سنة ١٤هـ

عن الشعبي قال: قال عمر رضي الله عنه لعتبة- يعني ابن غزوان-: قد فتح الله جل وعز على إخوانكم الحيرة وما حولها، وقُتل عظيم من عظمائها، ولست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس فإني أريد أن أوجهك إلى أرض الهند لتمنع أهل تلك الجيزة من إمداد إخوانهم على إخوانكم، وتقاتلهم لعل الله أن يفتح عليكم، فسر على بركة الله، واتق الله ما استطعت واحكم بالعدل، وصلِّ الصلاة لوقتها، وأكثر ذكر الله، فاقبل عتبة في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وضوي إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي، فقدم البصرة في خمسمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، فنزلها في شهر ربيع الأول أو الآخر سنة اربع عشرة، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند، فيها حجارة بيض خُشْن، فنزل الخريبة وليس بها إلا سبع دساكر بالزابوقة والخريبة وموضع بني تميم والأزد، ثنتان بالخريبة وثنتان بالأزد وثنتان في موضع بني تميم وواحدة بالزابوقة، فكتب إلى عمر ووصف له منزله فكتب إليه عمر: اجمع للناس موضعًا واحداً ولا تفرقهم، فأقام عتبة أشهرًا لا يغزو ولا يلقى أحداً.

[تاريخ الطبري ٣/٤٣٩].

وفي هذا الخبر أيضًا نرى وصية قائد المسلمين العام لواليه على الجيش، فهي وصية بتقوى الله والعبادة والورع وذكر الله سبحانه، ما أعظم صدر هذه الأمة.

٣- كتابة التاريخ الإسلامي سنة ١٦هـ

وفيها كُتب التاريخ في شهر ربيع الأول: فعن ابن المسيب قال: أول من كتب التأريخ عمر رضي الله عنه لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم: من أي يوم نكتب؟ فقال علي رضي الله عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك ففعله عمر.

[تاريخ الطبري ٢/٤٧٦].

وهنا تظهر الشورى والتواضع للرعية والعمل برؤيتهم إن كان حسنًا.

٤- الزيادة العثمانية في مسجد رسول الله ﷺ سنة ٢٩هـ

في هذه السنة زاد عثمان في مسجد رسول الله ﷺ ووسعه، وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الأول، وكانت القصة تُحمل إلى عثمان من بطن نخل، وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عُمُده من حجارة فيها رصاص، وسقفه ساجًا، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه مائة وخمسين ذراعًا، وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر، ستة أبواب.

[تاريخ الطبري ٢/٦٠٦].

رحم الله الخلفاء الراشدين جميعًا.

٥- وفاة جويرية زوجة رسول الله ﷺ سنة ٥٥ أو ٥٦هـ

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد بن مالك بن جذيمة، وجذيمة المصطلق من خزاعة، كان اسمها بُرة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية، وقد روي مثل هذا في حديث ميمونة بنت الحارث، وكذلك زينب بنت جحش كان اسمها برة أيضًا، وزينب بنت أبي سلمة ربيبته عليه السلام، كان اسمها برة، فسماهن جمع بغير ذلك الاسم، توفيت جويرية في شهر ربيع الأول سنة ست أو خمس وخمسين من الهجرة، وكانت قبل أن تسبى عند مسافع بن صفوان الخزاعي. [الروض الأنف ١/٣٤٩].

٦- وفاة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم سنة ٦٣هـ

عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر أنه قال: توفي يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليال، وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد.

وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال: في سن يزيد خلاف الذي ذكره الزهري، والذي قال هشام في ذلك فيما حُدثنا عنه: استُخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر، في هلال رجب سنة ستين، وولي سنتين وثمانية أشهر، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وهو ابن خمس وثلاثين، وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي. [تاريخ الطبري ٣/٣٦٢].

٧- خلافة هارون الرشيد سنة ١٧٠هـ

ثم بويع أمير المؤمنين الرشيد هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمه الخيزران في النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، فاقرَّ على البصرة محمد بن سليمان بن علي، فوجه محمد بن سليمان يحيى بن سعد السعدي في ثلاثة عشر مركبًا في بحر البصرة، حتى بلغ عمان ولم يلق كيدًا.
[تاريخ خليفة بن خياط ١/١٣٢].

٨- ظهور فتنة خلق القرآن سنة ٢١٢هـ

في هذه السنة أظهر المامون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وذلك في شهر ربيع الأول منها. [تاريخ الطبري ٥/١٧٨].

والحق الذي عليه جمهور الأمة أن أبا بكر رضي الله عنه هو أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين.

٩- وفاة الخليفة المعتصم سنة ٢٢٧هـ

ولي محمد بن هارون أبو إسحاق المعتصم أخو المامون بعد دفن أخيه بطرسوس، وأمه أم ولد اسمها ماردة، فأخذ المعتصم في إجبار ما لا يحتاج إليه وضرب أحمد بن حنبل بالسياط، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي، حتى بقي الناس في تلك الفتنة إلى أن مات المعتصم ليلة الخميس لثمان عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد قيل: لثمان بقين من شهر ربيع الأول، وصلى عليه ابنه الواثق، وكان له يوم توفي سبع وأربعون سنة وثلاثة عشر يومًا، وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر، وكان نقش خاتمه: «الحمد لله الذي ليس كمثله شيء». [سيرة ابن حبان ١/٥٧٥].

وبويع الواثق هارون ابن أمير المؤمنين.
[تاريخ خليفة بن خياط ١/١٤٢].

نتيجة
مسابقة القرآن الكريم

المستوى الأول

١- محمد عبد السيد سليمان.	(الزقازيق)
٢- فرج سعيد محمد عبد العال.	(دمنهور)
٣- عبد الرحمن حسانين البسيوني.	(منيا القمح)
٤- محمود أحمد محمد عبد الرازق.	(مدينة نصر)
٥- عبد الله محمد شلبي عبد الخالق.	(عين شمس)
٦- عبد الله عبده محمد شيتوي.	الروضة فارسكور)
٧- مصطفى حنفي محمد القصاص.	(المحمودية)
٨- أنس حامد محمد عوف.	(دمياط)
٩- عمار ياسر نصار قاسم.	(أسكر- جيزة)
١٠- إبراهيم جمال إبراهيم سليمان.	(مصر الجديدة)

المستوى الثاني

١- محمد جمال محمد الأنصاري	(مركز بدر- الجيزة)
٢- محمد شعبان عبد الحميد أفندي.	(شوبك بسطة- شرقية)
٣- شحات رمضان منصور.	(عابدين)
٤- إيمان إسماعيل نور الدين.	(شوبك بسطة- شرقية)
٥- محمود محمد بيومي بدر.	(مشيرف- الباجور)
٦- محمد إسماعيل نور الدين	(بني عامر)
٧- أحمد سمير أحمد الهابط.	(دمنهور)
٨- أحمد محمد السيد خطاب.	(مركز بدر)
٩- محمد أحمد عبد الغني.	(بنها)
١٠- أسماء أشرف وهيب.	(بلبيس)

المستوى الثالث

١- محمد زاهي ذكي.	(الزقازيق)
٢- حمادة محمد السيد.	(مركز بدر)
٣- أحمد لطفي عبد المنعم.	(منيا القمح)
٤- محمود حسين أحمد.	(الشين- غريبة)
٥- شذا عادل العراقي.	(دمياط)
٦- محمد حسن إبراهيم عليان.	(بني عامر- شرقية)
٧- عبد الفتاح رضا الطنطاوي.	(دمياط)
٨- محمود خالد عمر.	(هشله- ابنهس - منوفية)
٩- يسرى عادل السري.	(دمياط)
١٠- أحمد أبو العلا السيد أبو العلا.	(صبيح - شرقية)

المستوى الرابع

١- فاطمة محمد مختار عبدالرحمن.	(منيا القمح)
٢- هادي هاشم الهنداوي.	(دمياط)
٣- عبد الرحمن إبراهيم سعدوني عبد الفتاح.	(المطرية القاهرة)
٤- سمية عادل سري.	(دمياط)
٥- ندى يحيى الكردي.	(دمياط)
٦- بُثينة إبراهيم الموصل.	(الشين- غربية)
٧- محمد جمالد صلاح عيد.	(أسكر- جيزة)
٨- جهاد أحمد كمال.	(جيزة)
٩- دنيا محمد صبري.	(بلبيس)
١٠- محمد محمد محمد.	(دمياط)

المستوى الخامس

١- سارة شاذلي عبد الكريم.	(بلبيس)
٢- رقية خالد عمر هشلة.	(ابنهس)
٣- إبراهيم سعيد إبراهيم.	(طنبشة)
٤- عائشة إبراهيم عبد البديع	(المرج)
٥- هاجر ضياء عمر.	(الهرم)
٦- نهى ناجي حبيب.	(دمياط)
٧- أحمد أبو خليل عبد العظيم صالح.	(العواسجة)
٨- سارة ضياء عمر.	(الهرم)
٩- شروق محمد الهادي.	(منيا القمح)
١٠- عائشة أحمد عبده المرحومي.	(طنطا)

باب التراجم

الشيخ عبدالله بن يابس رفيق عبدالعزيز بن راشد في الدعوة

١٣١٣هـ - ١٣٨٩هـ

إعداد / **فتحي أمين عثمان**

اسمه: عبد الله بن عبد الله بن سيد بن محمد بن عبدالله الملقب بـ «يابس»، وقد اشتهرت أسرته بهذا الاسم.

أما جده فاسمه يحيى بن حسن وينتهي نسبه إلى صالح بن فياض بن زيد، القبيلة المشهورة.

مولده: وُلد عام ١٣١٣هـ في بلدة العويقية من أسرة ملتزمة متمسكة بالأخلاق الكريمة، ونشأ في بيئة قروية بسيطة، ومجتمع يسوده الورع والتقوى.

توفي والده وهو صغير، فكفلته والدته، ثم تعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد الأستاذ عبد الرحمن بن جبرين، وبعد ذلك حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ عبد الله بن سليمان السياري قاضي العويقية- آنذاك- وكان من زملائه الذين قرأوا معه: حمد العويس، وسعد بن عقيل، وإبراهيم بن سعود السياري، وعبد العزيز بن هويسل، وكان معه الشيخ عبد الله السباري يعطيهم دروسًا في الأصول الثلاثة ومبادئ التوحيد.

وفي سن الخامسة عشرة من عمره أتم حفظ القرآن، فبدأ يدرس لصغار التلاميذ، وطول هذه السنين يحاول الاستزادة من العلوم الشرعية على يد الشيخ محمد بن سعود بن صقر العريفي.

دراسته في الرياض:

عندما بلغ إحدى وعشرين سنة سمت همته للتزود من العلم، ووصل إلى الرياض وسكن في إحدى الأربطة هناك، وأخذ يحضر جلسات العلم التي تعقد في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، ومن أبرز مشايخه في تلك الفترة الشيخ سعدين حمدين عتيق، والشيخ حمدين فارس، والشيخ عبد العزيز بن بشر، وعبد العزيز بن راشد من بلدة المفيجر بالجريق، وهو من دعاة أنصار السنة في مصر ودمنهور والإسكندرية، وقد توفي ودفن بالإسكندرية، وقد قمنا بنشر ترجمته بمجلة التوحيد.

وكان معه أيضًا عبد الله بن علي القصيمي، وقد كان بينهما مودة قبل ارتداده عن التوحيد، وله مؤلفات جيدة كـ(الصراع بين الإسلام والوثنية، والبروق النجدية، والثورة الوهابية)، وله مؤلفات أخرى في غاية الشناعة منها كتابه الشهير بـ «الأغلال»، وقد رد عليه الشيخ يابس بكتاب سماه «الرد القويم على ملحد القصيم»، كما رد عليه بأبيات من الشعر الرصين.

دراسته في الإحساء

توجه الشيخ ابن يابس إلى الدراسة في الإحساء لدراسة المزيد من العلم على يد الشيخ عبد العزيز بن بشر الذي نقل إلى الإحساء، وقد كانوا رفقاء في الرحلة سعدين حجرف البواردي، وعبد الله بن دهمشين، إلا أنه لأسباب خارجة عن إرادته اضطر إلى مغادرة الإحساء والسفر إلى قطر ليحل ضيفًا كريمًا على فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، وقد قرأ على يديه الفقه الحنبلي الذي كان يحبه.

دراسته في الهند:

بعد أن قضى حوالي العام في مدينة الشارقة، تاقت نفسه إلى السفر إلى الهند لأنه علم أن هناك مدرسة الحديث، وقد أقام هناك عند الشيخ محمد عبد الرحمن بن الحافظ عبد الرحيم المباركفوري (صاحب كتاب تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي)، وقد أجازه في علم الحديث، وكان معه في الدراسة بالهند الشيخ محمد تقي الدين الهلالي.

دراسته بالأزهر:

ثم جاء إلى مصر ليلحق بزميليه ابن راشد والقصيمي اللذين سبقاه إلى الالتحاق بالأزهر، وقد سعى الشيخ ابن راشد في إلحاقه بالأزهر، فتعلم فيه، ثم جلس يدرس في الجامع الأزهر، وكان يدرس للطلبة

الهنود والأندونيسيين والصينيين في المنزل، وذلك بعد صلاة العصر.

كما كان يلقي دروسًا في جمعية أنصار السنة المحمدية بعابدين يومي الثلاثاء والأربعاء.

وكان حسن التعليم، وعلى جانب كبير من الفهم والخلق الكريم والصفات الحميدة التي يتحلى بها علماء السنة والجماعة، حلو الشمائل، مجالسه ممتعة، داعية خير ورشد.

فصاحته وقوة حافظته:

مع أنه عاش في مصر أربعين سنة، إلا أنه ظل محتفظًا بلغته العربية الفصيحة، ولم يتأثر بلهجة المصريين، وكان الشيخ رحمه الله يقرض الشعر، وكان شعره جزلاً.

زار أحد طلابه من أنصار السنة المحمدية وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا في دكانه قرأ عليه لوحة مكتوب عليها «محل البورفو»، فأعجبه الاسم فقال على الفور شعرًا:

البورفور محل
تباع فيه النقانس
ومن يزره يلاقي
ما تشتهيه العرائس

ولما زار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي السعودية مصر في عام ١٣٧٠هـ استقبله الشيخ ابن يابس، وقال أبياتًا من الشعر جادت بها قريحته.

ثم دعى لسماحته بالشفاء، فقال:

فشفاه الله من سقم
طاب للملة سالمها

خلافه مع القصيمي:

لما وصل الشيخ عبد الله بن يابس إلى مصر عام ١٣٤٥هـ، سكن مع زميله عبد الله القصيمي في غرفة واحدة في رواق الحرمين، ولم ير ابن يابس في أول عهده بالقصيمي شيئًا يُؤخذ عليه، بل وجد منه مؤلفات في الذود عن العقيدة، وألف كتبًا نشرها الشيخ الفوزان السابق السفير السعودي في القاهرة، ونشرتها جمعية أنصار السنة المحمدية وأشهر كتبه كتاب «الصراع بين الإسلام والوثنية»، وقد قرظه الشيخ أبو السمح بقصيدة، ثم انتكس القصيمي ونكص على عقبيه بعد أن قرأ كتب «غوستاف لوبون» وهو فرنسي شديد العداء للإسلام، فحصل للقصيمي بعض الشطحات، فألف كتابًا سماه «كيف ذلّ المسلمون»، فرد عليه الشيخ حامد الفقي وكتب في مجلة الهدي النبوي يقول: «يا للمصيبة أنعي إلى إخواني السلفيين أخاهم سابقًا عبد الله القصيمي الذي انقلب على عقبيه وسلك مسلك أعداء الإسلام».

بعد ذلك ألف القصيمي كتاب «الأغلال»، فانبرى للرد عليه الشيخ عبد الظاهر أبو السمح بقصيدة نُشرت في مجلة الهدي النبوي، وأما الشيخ ابن يابس فقد ألف كتابًا سماه «الرد المفحم القويم على القصيمي الأثيم»، كما كتب شعرًا يهاجم فيه القصيمي، واشترك في الرد على القصيمي كل من الشيخ عبد الرزاق حمزة، والشيخ السعدي.

وقال القصيمي: «كان أشد رد عليَّ هو رد عبد الله بن يابس».

وكما أن الشيخ ابن يابس كانت له أسفار كثيرة، كان له أيضًا ردود كثيرة على من يهاجم الإسلام، فقد رد كما سبق على القصيمي، ورد على تلميذه خالد محمد خالد، كما كانت له ملاحظات على كتاب «الوحي المحمدي» للشيخ رشيد رضا، ورد أيضًا على الشيخ شلتوت.

كما كان للشيخ ابن يابس أيضًا مراسلات مع الإمام العادل الملك عبد العزيز آل سعود الذي دعاه للحج على نفقته الخاصة عام ١٣٦٩هـ، وكان له أيضًا صلات وثيقة بعلماء السعودية، وخاصة آل الشيخ، فقد كان يراسل الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي السعودية، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، وكذا الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي.

ثناء العلماء عليه:

١- قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: كان الشيخ ابن يابس ذا علم وفضل وغيرة إسلامية، وله مؤلفات منها رده العلمي على كتاب «هذه هي الأغلال».

٢- ذكر الشيخ ابن جبرين عنه أنه الشيخ الشهير بالعلم والفضل.

٣- قال خير الدين الزركلي: عبد الله بن يابس متفقه حنبلي، له ردود على بعض العلماء.

٤- قال الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس: العالم الشيخ عبد الله بن يابس كان على جانب كبير من العلم والمعرفة، وأدرك كثيرًا من العلوم والفنون.

مؤلفات الشيخ ابن يابس:

١- إعلام الأنام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت الإسلام.

٢- الرد القويم. وغيرهما.

وفاته:

يقول الشيخ محمد البنا: كان الشيخ ابن يابس كثيرًا ما يصدع بالسلفية مع زملائه حامد الفقي، وعبد العزيز بن راشد، ومحمد بن عبد السلام الشقيري، وفي نهاية عام ١٣٨٨هـ، عاد إلى المملكة العربية السعودية، غير أنه أصيب بآلام شديدة وتوفي في المحرم عام ١٣٨٩هـ.

رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا وإياه في واسع رحمته، إنه سميع مجيب.

المراجع:

كتاب «من أعلام الإسلام» للشيخ عبد الله بن يابس.

دراسات شرعية

المنهج الإسلامي

الحلقة الثالثة عشرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

إن الله تعالى أعطى الرجل القوامة على المرأة لسببين: أولهما جبلي، وهو في طبيعة تكوين الرجل وخلقه، من ذلك ما حباه الله به من عقل يتعقل به الأمور ويتروّى فيها، وتمام الدين، والجهاد، والنبوة، وشهود الجماعات، وغير ذلك.

الثاني مكتسب: وهو بإنفاق الرجل على المرأة.

يقول الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

ومن القوامة أن جعل الله الطلاق بيد الرجل، لكن الرجل قد تسوء معاملته لزوجته مما يستحيل استمرار الحياة الزوجية، وقد تبغضه زوجته لسبب أو لآخر، والحياة الزوجية قائمة على المحبة والمودة، فإذا ذهبا تصدعت العلاقة بين الزوجين.

فإذا كره الرجل طلّق، لكن المرأة- وهي أسيرة- إذا كرهت ولم تطق العيش مع زوجها فماذا تفعل؟ لو طالبته بالطلاق يأبى ويتعنت في استخدام الحق الذي أعطاه الله إياه، مع أن الله تعالى الذي خوله هذا الحق أمره بالإحسان: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾، فهل تظل معه مع بغضها له وعدم قدرتها على الصبر على هذا الابتلاء، وقد طالبته مرارًا بالطلاق وهو يأبى، أليس من الممكن أن تنحرف هذه المرأة ويجرفها الشيطان إلى مستنقع الرذيلة ويزين لها أن السبب هو زوجها- ذلك السجّان العنيد.

فالمنهج الإسلامي في وقاية المجتمع من الفاحشة والذي يقوم في غالبه على قاعدة سد الذرائع، وهي قاعدة جليلة في شرعنا؛ إذ تغلق الباب الذي من شأنه أن يؤدي إلى المعاصي، ولو في القليل أو حتى في النادر.

جعل للمرأة في هذه الحالة مخرجًا، ألا وهو الخلع، وهو ما سنبينه- إن شاء الله تعالى-:

الخلعُ

الخُلعُ لغة: مأخوذ من خَلَعَ الثوب، إذا أزاله، لأن المرأة لباس الرجل معنى، والرجل لباس لها، قال الله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

واصطلاحًا: فراق الرجل زوجته بعوض يأخذه منها أو من غيرها، ويسمى فدية وافتداء.

أمّا من الزوجة فللآية والحديث- سيأتيان- وأما من غيرها، كوليّها أو أجنبي عنها بأن يسأل الزوج أن يخلع زوجته بعوض يبذله له، وهو مذهب الجمهور، فيجوز أن يختلعها، كما يجوز أن يفتدي الأسير، أو يعتق العبد، وذلك إذا كان مقصده الإحسان إليها وتخليصها من رق الزوج أو الإحسان إلى زوجها لسوء خلقها وإساءتها له.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في الشرح الممتع عن الحالات التي يتطوع فيها شخص باختلاع امرأة من زوجها: «وهذا إن كان منه مصلحة للزوجة فالأمر ظاهر- ويعد من الإحسان، وإن كان بغير إذن الزوجة فلا يخلو من حالات». ثم ذكر الشيخ سبع حالات، ملخص هذه الحالات أن منها ما هو من الإحسان: كأن يكون لمصلحة الزوج، مثل أن تكون المرأة سيئة الخلق أو سيئة السلوك والزوج فقير لا يطلق لأنه ليس عنده مال آخر يتزوج به فيعطيه عوضًا ليطلقها.

أو يكون لمصلحة الزوجة، كأن تكون قد أساء الزوج إليها وأتعبها ولكن ليس عندها مال تفتدي

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

إعداد / **متولي البراجيلي**

به، أو يكون لمصلحتهما جميعًا، بأن يكون هو سيئ العشرة وهي كذلك، فتخاف في هذه الحال ألا يقيما حدود الله.

أما ما كان بخلاف هذا فهو حرام، كأن يكون للإضرار بالزوجة، أو الإضرار بالزوج، أو كليهما معًا.

مشروعيته

ذكر أبو بكر بن دريد في أماليه أن أول خلع كان في الدنيا أن عامر بن الظرب زوّج ابنته بابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب، فلما دخلت عليه نفرت منه، فشكا إلى أبيها، فقال: لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك، وقد خلعتها منك بما أعطيتها، قال: فزعم العلماء أن هذا كان أول خلع في العرب.

فإذا اشتد الخلاف بين الزوجين ولم يمكن التوفيق بينهما، ورغبت المرأة في الفراق أبيح لها أن تفتدي نفسها من زوجها (كالأسير) بمال تعويضًا عن الضرر الذي يلحقه بفراقها.

قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فإذا توافر السبب الوارد في الآية الكريمة، وهو الخوف من عدم إقامة حدود الله وعدم تأدية الواجب عليه نحو الآخر من اعتداء الزوج أو معصية الزوجة أو غير ذلك، جاز لها الخلع.

- عن ابن عباس- رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شمّاس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما أنقم على ثابت في دين ولا خُلُق، إلا أني أخاف الكفر، فقال رسول الله ﷺ: «فتردين عليه حديقته؟»، قالت: نعم، فردت عليه وأمره بفراقها. [صحيح البخاري].

وفي قولها: إني أخاف الكفر: أي أكره إن أقمت عنده أن أقع فيما يقتضي الكفر، أو تحملها شدة كراهتها له على إظهار الكفر لينفسخ نكاحها، أو تقصد كفران العشير بسبب شدة بغضها له، ولعل ذلك هو الأصح.

ورد في الروايات المختلفة للحديث ما يدل على شدة بغضها له، كقولها: لا أطيقه بغضًا، عند البيهقي، وفي رواية ابن ماجه: كانت حبيبة بنت سهل عند ثابت بن قيس وكان رجلاً دميمًا، فقالت: والله لولا مخافة الله إذ دخل عليّ لبصقت في وجهه.

وفي رواية معتمر بن سليمان بسنده عن ابن عباس: أول خلع كان في الإسلام امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، لا يجتمع رأسي ورأس ثابت أبدًا، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة، فإذا هو أشدهم سوادًا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهًا.

فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، وإن شاء زدته. ففرق بينهما. [فتح الباري بتصرف يسير].

حكم الخلع

الخلع جائز، وإذا لم يكن هناك حاجة إليه فهو مكروه، إلا في حال مخافة ألا يقيما حدود الله، كلاهما أو أحدهما، وقد ينشأ ذلك من سوء العشرة، إما لسوء خَلْقه، أو خُلُقه.

وقال بعض العلماء: بل يحرّم للتحذير منه، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة». [صحيح ابن ماجه وغيره].

وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «المختلعات هن المنافقات». [صحيح ابن ماجه وغيره].

ولا شك أن هذا الحديث يُحمل على المختلعة من غير ما سبب للجمع بينه وبين أحاديث الجواز.

فائدة: «قال بعض أهل العلم: إن هذا الحديث إسناده ليس بالقوي؛ لأنه من طريق الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه، فقال النسائي: الحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئًا، لكن الحسن صرّح بالسماع عن أبي هريرة، لذا قال الحافظ في التقريب

بعد أن ساق الحديث في ترجمة الحسن: وهذا إسناد لا يطعن في أحد من رواته، وهو يؤيد أنه سمع من أبي هريرة في الجملة».

قال ابن قدامة في «المغني»: وجملة الأمر أن المرأة إذا كرهت زوجها لخَلْقه أو خُلُقه أو دينه أو كبره أو ضعفه أو نحو ذلك، وخشيت ألا تؤدي حق الله في طاعته جاز لها أن تخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه ؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

حكمة الخلع

وحكمته أن الزوجة تتخلص من زوجها على وجه لا رجعة فيه، ففيه حل عادل للزوجين، فالخلع الذي جاءت به السنة أن تكون المرأة مبغضة للرجل فتفتدي نفسها منه كالأسير.

تحذير الرجال من عضل النساء

إذا كره الرجل المرأة ورغب عنها لسبب ما فعليه أن يفارقها بمعروف كما أمر الله تعالى، ولا يجوز له حبسها والإضرار بها لتفتدي نفسها منه.

قال تعالى: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

فإذا كان الرجل لا يحب المرأة ولكن يمسكها من أجل أن تملَّ منه وتفتدي منه، فإنه يكون بذلك ظالمًا لها، ويحرم عليه أخذ العوض منها، إلا إذا أتت بفاحشة مبينة كالزنا، والكلام الفاحش المستمر، أو نشوزها، أو تركت فرضًا من فروض الله تعالى، كتركها للصلاة، أو الزكاة، أو الصيام، أو ترك الحجاب، فله أن يعضلها، إذا لم يكن من إصلاحها سبيل، لكن إن استطاع إصلاحها وتقويمها (وله في ذلك الجزاء الحسن)، وكان يريدها فله ذلك.

هل الخلع فسخ أم طلاق

والفارق أن الفسخ لا يحسب من الطلاق ولو كثر، وقد اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال ثلاثة:

١- فريق قال: الخلع طلاق بكل حال، وبأي لفظ كان، ويحسب من الطلقات الثلاث، ويرى هذا الفريق أن الزوجة بذلت العوض للفرقة، والفرقة التي يملك الزوج إيقاعها هي الطلاق دون الفسخ، فوجب أن يكون طلاقًا.

يروى ذلك عن سعيد بن المسيب، والحسن، وعطاء، والشعبي، والزهري، ومالك، وأصحاب الرأي، والشافعي، في أحد أقواله، وغيرهم.

وقد روى عن عثمان، وعلي، وابن مسعود، ولكن ضعَّف أحمد الحديث عنهم، وقال: ليس في الباب شيء أصح من حديث ابن عباس أنه فسخ.

٢- وفريق قال: إذا خلعها بلفظ من ألفاظ الطلاق الصريح (مثل طلقتك)، وكان ذلك على عوض فهو طلاق بائن، وكذلك إذا خلعها بلفظ من كنايات الطلاق مع نية وقوع الطلاق وعلى عوض فهو أيضًا طلاق، أو أن يخلعها بلفظ من ألفاظ الخلع الصريح (مثل خلعتك)، لكن ينوي به الطلاق فهو طلاق، واستثنوا صورة واحدة فقط وهي صريح الخلع لكن بغير نية الطلاق، فقالوا هذا فسخ.

٣- وفريق قال: الخلع فسخ بأي لفظ كان، فإذا بذلت المرأة المال فداءً لنفسها فهو فسخ وليس بطلاق، وهذا اختيار أبي بكر، وقول ابن عباس، وطاوس، وعكرمة، وغيرهم، واختاره ابن تيمية وابن القيم، وهو المنصوص عن أحمد، وقول قدماء أصحابه، هكذا حكى عنه شيخ الإسلام أنه فسخ مطلقًا ولو وقع بلفظ الطلاق، وهذا يقول به ابن عباس- رضي الله عنهما-: كل ما جاز في المال يعني كل ما دخل فيه مال فهو خلع وليس بطلاق. وعن ابن الزبير ما يقوي قول ابن عباس رضي الله عنهم.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في «الشرح الممتع»: وهذا القول قريب من الصواب، يعني يكون فسخًا بكل حال.

- ويرجع اختلاف العلماء لاختلاف الأدلة الواردة في ذلك.

ففي صحيح البخاري من رواية أزهر بن جميل في آخر حديثه أن النبي ﷺ قال لثابت بن قيس: «اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة».

فقالوا: هذا نص ينبغي المصير إليه.

لكن تعقبوهم بأن هذا الحديث تعقبه البخاري بعد أن رواه بما يفيد بأن أزهر لا يتابع فيه عن ابن عباس. ما يدل على شذوذ هذه اللفظة الزائدة، وكذلك الروايات الأخرى التي فيها لفظ الطلاق مرسلة، وأن الروايات المحفوظة لم يذكر فيها الطلاق، وإنما أمره النبي ﷺ ففارقها، أو لم يأمره بشيء.

فائدة: مجموع طرق حديث امرأة ثابت بن قيس سبعة، وكلهم في طبقة أعلى من طبقة أزهر بن جميل، ولم يذكروا لفظة الطلاق مما يرجح شذوذها، وكذا قال الشوكاني بشذوذها، ومما يؤكد ذلك أنه

صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: إن الخلع فسخ وكان يفتي به.

يقول ابن القيم في «زاد المعاد»: «والذي يدل على أنه ليس بطلاق أن الله سبحانه وتعالى رتَّب على الطلاق بعد الدخول الذي لم يستوف عدده ثلاثة أحكام، كلها منتفية عن الخلع:

أحدها: أن الزوج أحق بالرجعة فيه.

الثاني: أنه محسوب من الثلاث، فلا تحل بعد استيفاء العدد (ثلاث طلقات) إلاَّ بعد زوج آخر.

الثالث: أن العدة فيه ثلاثة قروء.

وقد ثبت بالنص والإجماع أنه لا رجعة في الخلع، وثبت بالسنة وأقوال الصحابة أن العدة فيه حيضة واحدة، وثبت بالنص جوازه بعد طلقتين، ووقوع ثالثة بعده، وهذا ظاهر جدًا في كونه ليس بطلاق، ثم استدل بالآيات التي استدل بها ابن عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى: ﴿ الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

[البقرة: ٢٢٩].

ثم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾.

فذكر الله تعالى: «الطلاق مرتان» أولاً ثم الفداء، ثم الطلاق الثالث، فلو كان الخلع طلاقًا لكان أربع تطليقات، وهذا ما فهمه ابن عباس ترجمان القرآن.

وأخرج عبد الرزاق بسنده أن طاوسًا سأل ابن عباس فيه (الخلع)، فقال ابن عباس: ليس الفداء بتطليق.

ومن الأدلة أيضًا عن الرُّبيع بنت معوِّذ رضي الله عنها قالت: اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان فسألته: ماذا عليَّ من العدَّة؟ فقال: لا عدة عليك إلا أن تكوني حديثة عهد به فتمكثي حتى تحيضي حيضة، قال: وأنا متبع في ذلك قضاء رسول الله ﷺ في مريم المغالية، كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس فاختلعت منه. [صحيح ابن ماجه وغيره].

هل يحصل الخلع بمجرد بذل المال وقبول الزوج له دون لفظ من الزوج

لما سُئل الإمام أحمد: كيف الخلع؟ قال: إذا أخذ المال فهي فرقة. وقال إبراهيم النخعي: أخذ المال تطليقة بائنة، ونحو ذلك عن الحسن، وعن علي رضي الله عنه أنه قال: من قبل مالاً على فراق فهي تطليقة بائنة لا رجعة له فيها، واحتج بقول النبي ﷺ لجميلة (امرأة ثابت): أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، ففرَّق رسول الله ﷺ بينهما، وقال: هذا ما أعطيتها ولا تزد. [صحيح سنن ابن ماجه].

ولم يستدع منه لفظًا، ولأن دلالة الحال تغني عن اللفظ.

وتعقب ابن قدامة ذلك من أنه لا يصح بدون اللفظ كالنكاح والطلاق. [المغني لابن قدامة].

عدة المختلعة

عدتها حيضة واحدة؛ لحديث الرُّبيع بنت معوِّذ في قصة امرأة ثابت: أن النبي ﷺ قال له: خذ الذي لها عليك وخلِّ سبيلها. قال: نعم، فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد بحيضة واحدة وتلحق بأهلها.

[صحيح سنن النسائي].

قال ابن القيم: واختلف الناس في عدة المختلعة، فذهب إسحاق وأحمد في أصح الروايتين عنه دليلاً أنها تعتد بحيضة واحدة، وهو مذهب عثمان بن عفان، وعبد الله بن عباس، وقد حكى إجماع الصحابة، ولا يُعلم لهم مخالف، وقد دلت عليه سنة رسول الله ﷺ الصحيحة دلالة صريحة، وعذر من خالفها أنها لم تبلغه أو لم تصح عنده أو ظن الإجماع على خلاف موجبها.

هل للخلع ألفاظ خاصة به، أو كل فراق على عوض فهو خلع ولو بلفظ الطلاق؟

في هذا قولان لأهل العلم، فشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذهب إلى كل ما دخله العوض فليس بطلاق بل هو فداء (خلع)، والعبرة بالمعنى لا باللفظ.

[ارجع إلى مسألة هل الخلع فسخ أم طلاق].

هل يلحق المختلعة طلاق

بمعنى: إذا خالعها ثم طلقها بعد الخلع، فهل يقع طلاق؟

أكثر أهل العلم- ولعل هذا هو الراجح- أنه لا يلحقها طلاق، وبذلك قال ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم، وبه قال مالك والشافعي وأحمد.

وقال أبو حنيفة وبعض أهل العلم يلحقها الطلاق، لما روى عن النبي ﷺ: «المختلعة يلحقها الطلاق ما دامت في العدة».

[والحديث غير صحيح، وبالتالي فلا حجة فيه].

وللحديث بقية - إن شاء الله - حول مسائل الخلع.

والحمد لله رب العالمين.

التحريف عند الرافضة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فبعد أن وضحنا عقيدة التحريف عند اليهود، وكيف أن من صفاتهم التي بينها الله لنا أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، نبين في هذا المقال التحريف عند الرافضة، وكيف أن هذه العقيدة تسربت إليهم من اليهود، لنؤكد على الحقيقة التي بيناها آنفًا، وهي أن الرفض صناعة يهودية.

يعتقد الرافضة أن القرآن الكريم قد حُرف وبُدل، وأن الناقص منه أكبر بكثير مما هو موجود عند أهل السنة، وأن الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، هم الذين حرفوا القرآن وأسقطوا منه جزءًا كبيرًا، وتعتقد الرافضة أن ما سقط من القرآن يدور حول قضيتين هامتين هما:

١- فضائل أهل البيت، لا سيما علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذا قضية إمامته التي هي أهم معتقداتهم الراسخة.

٢- مساوئ المهاجرين والأنصار الذين دخلوا الإسلام للنيل منه والكيد له.

وإليك أخي القارئ بعض ما ورد في عقيدة القوم في القرآن الكريم، والتي مصدرها كتب القوم وأقوال علمائهم في القديم والحديث.

١- كتاب سليم بن قيس المتوفى سنة ٩٠هـ يؤكد فيه أن شاة جاءت وكُتَّاب عمر يكتبون القرآن فأكلت منه الجزء الكثير، والكاتب يومئذ عثمان بن عفان رضي الله عنه، فالأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، والنور ستون ومائة آية، والحجرات ستون آية، والحجر تسعون ومائة آية.

(راجع كتاب سليم بن قيس ص١٢٢، وما بعدها).

٢- كتاب بصائر الدرجات للصفَّار المتوفى سنة ١٩٠هـ، والذي يروي عن أبي جعفر الصادق أنه قال: «ما من أحد من الناس يقول: إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، ما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده».

(راجع بصائر الدرجات ص٢١٣، وما بعدها).

٣- تفسير القمي المتوفى سنة ٣٠٧هـ، والقمي هو شيخ مشايخهم، وأحد مراجعهم الهامة، وقد ذكر في هذا الكتاب أن من القرآن ما هو على خلاف ما أنزل الله، ثم راح يعدد نماذج مما حرف من القرآن، من ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، قال: نزلت: «يا مريم اركعي واسجدي».

٢- قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ نزلت: «كنتم خير أئمة أُخرجت للناس»، ويزعم كيف تكون خير أمة ويقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني عليّ عليهم السلام.

(راجع تفسير القمي ١/٨).

٤- الكليني المتوفى سنة ٣٢٨هـ، وهو محدث الشيعة صاحب الكافي، الذي تعتبره الرافضة كالبخاري عند أهل السنة، وهذا جزءٌ يسير مما ورد في هذا المرجع الشيعي الضخم:

- يروي الكليني عن أبي عبد الله قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد سبعة عشر ألف آية». (أصول الكافي ج٢/٦٣٤). وقوله ذلك يلزم منه أن

الحلقة الثانية

والرافضة

إعداد / أسامة سليمان

ثلثي القرآن مفقود إذ الآيات التي عند أهل السنة (٦٢٣٦ آية).

- يروي الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله أنه قال: «إن عندنا لمصحف فاطمة، مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات». (أصول الكافي ١/٢٣٩).

٥- العياشي صاحب تفسير العياشي الذي يُعتبر من أهم تفاسير الرافضة، يحكي في مقدمة تفسيره عن أبي جعفر أنه قال: «نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع فرائض وأحكام، وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن».

(١/٩ تفسير العياشي).

وكذا ورد فيه عن أبي جعفر: «إن القرآن قد طرح منه آيٌ كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف أخطأت بها الكتبة وتوهمها الرجال». (١/١٨٠).

فهل بعد هذا الضلال البيّن الواضح من ضلال؟!

٦- يؤكد المفيد المتوفى سنة ٤١٣هـ في أوائل المقالات أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، والمفيد هذا يعد من مؤسسي المذهب نقل في هذا الكتاب الإجماع على تحريف القرآن ومخالفة الرافضة لسائر الفرق الإسلامية ذلك المعتقد.

٧- أما الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، والكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـ، والمجلسي المتوفى سنة ١١١١هـ فكتبهم تحمل الكثير من النصوص التي تبين عقيدة القوم في تحريف القرآن، راجع تفسير الصافي للكاشاني، وبحار الأنوار للمجلسي، وفصل الخطاب للطبرسي.

وكتاب الطبرسي الذي يحمل عنوان «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، ففضح الله به الرافضة، إذ أثبت فيه أن عقيدة تحريف القرآن هي عقيدة علمائهم ومراجعهم، كفى أن تعلم أخي أن الطبرسي قد خصص الباب الأول في كتابه هذا لذكر الأدلة التي استدل بها علماء الرافضة على وقوع الزيادة والنقص في القرآن، ثم خصص الباب الثاني للرد على من قال بعدم تحريف القرآن وإبطال أدلتهم.

٥- ولعل قائلاً يقول: هذا معتقد القوم في القديم أما في الحديث فقد رجعوا عن هذا القول وتابوا عنه، ولأجل بيان أن ذلك المعتقد ما يزال يسيطر على معتقدات الرافضة نشير في هذا الصدد أن كتاب نائب الإمام المعصوم آية الله الخميني «كشف الأسرار» الذي ذكر فيه أن المصحف والمسجد والعترة يشكون إلى الله عز وجل يوم القيامة، يقول المصحف: يا رب حرفوني ومزقوني، ويعتقد الخميني اعتقادًا جازمًا أن الصحابة قد حرفوا القرآن وحذفوا منه اسم عليّ حتى يغصبوا منه حقه ويتولوا السلطة بعد رسول الله ﷺ ويحرموا منها عليًا.

ومما يؤكد أن القوم مستمرون على هذا الاعتقاد، ما ورد في كتاب «تحفة عوام مقبول»، والموثق من آياتهم المعاصرين «اللهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك، وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا كتابك». (ص٢١٤، ٢١٥).

٦- وتحريف القرآن جاءت به الروايات عند الرافضة، ومن أنكر ذلك المعتقد منهم إنما حمله على الإنكار التقية التي هي أصل من أصول عقيدتهم.

وإلى لقاء قادم بإذن الله نبين فيه أوجه التشابه بين اليهود والرافضة في معتقداتهم الفاسدة الآثمة.

والله من وراء القصد.

العنف والصياح

الحمد لله تعالى الذي خلقنا لعبادته، ورزقنا من فضله وخزائن رحمته، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، وبعد:

استيقظتْ إحدى الأسر بعد انتظار ليلة كاملة للابن الشاب الغض على نبأ تحطم ذلك الابن تحت إطار إحدى السيارات المسرعة التي كانت محتجزة بسبب انغلاق الطريق بجمهرة من الناس كانت في صياح وضجيج والعاب وممارسات يعبر بها المتجمهرون عن فرحهم بالسبق في إحدى اللعبات

وما إن لاحت فرصة للسيارة المحتجزة التي كانت محملة بالفاكهة حتى انطلقت، وكان الشباب قد اعتلوها متسلقين ينهبون الفاكهة ويوزعون على الناس من فوق السيارة، دون احترام لأموال الناس وأملاكهم، فالجميع في فرح وليس هذا وقت التدقيق والتحقيق، فكله يهون، والناس في نشوتهم يفرحون وفي سكرتهم يعمهون.

فلما انطلقت السيارة مسرعة إذ وجدت أملاً في النجاة بما بقي من حمولتها، أحس الشباب أنها ستنأى بهم كثيرًا عن ميدان الصخب والعبث، فقفزوا مسرعين لينالوا ما قد قُدر لهم ما بين ميت تحت الإطار، وما بين مصابين في حالة خطيرة !!

وفي مشهد آخر بعيدًا عن هذا الحدث، إذا بصاحب دراجة نارية «موتوسيكل» تأخذه النشوة فيبالغ في العبث والقفز بدراجته، فتجمح منه جموحًا أودى بحياة الشاب ولم يكمل بقية الألعاب.

وهذه أمثلة لما رأينا، وما خفي كان أعظم.

والسؤال: ماذا نقول لربنا عز وجل إذا سألنا عن هذه الأرواح التي أُزهقت والأنفس التي هلكت، والأسر التي حزنت ؟ إن الفرح والحزن أمران فطريان خلقهما الله تعالى في الإنسان، بل وفي الحيوان، لكن الفرح إذا زاد عن حده ربما سبب لصاحبه الهوس وخفة العقل، والحزن إذا زاد عن حده أورث الكآبة واليأس، ونبينا محمد ﷺ عمل على ترشيد هذين الضدين فيقول ﷺ : «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما».

[صحيح الجامع ح١٧٨].

إعداد / جمال عبدالرحمن

فالنبي ﷺ يرشدنا إلى التوسط والاعتدال ؛ لأن كلا طرفي قصد الأمور ذميم.

وقد نهى النبي ﷺ عن الفرح مع الأولاد الذي يؤدي إلى الكذب عليهم، فقد سمع أم عبد الله بن عامر تقول له: ها أعطيك. أي تعالَ لأعطيك، فقال لها ﷺ : «ماذا أردت أن تعطيه؟» فقالت: أعطيه تمرًا، فقال: «أما إنكِ لو لم تعطيه كُتبت عليكِ كذبة».

[أخرجه أبو داود، وحسنه الألباني].

ولما رأى ﷺ بعض أصحابه حزنوا من أجل أن ناقته التي لم تُسبق، سبقها أعرابي على قعود له، وجههم أن هذه الأمور الدنيوية لا مجال لتعظيمها والأسف عليها، فقال: «إن حقًا على الله تعالى ألا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه». [صحيح البخاري].

وفي هذا قال الحكماء: «ما طار طيرٌ وارتفع، إلا كما طار وقع».

إن التعصب ممقوت ومذموم، وإذا مات صاحبه عليه مات ميتة الجاهلية ؛ لقوله ﷺ : «ومن قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو بغض لعصبية فقتل قتلة جاهلية». [النسائي وصححه الألباني].

والسؤال الآخر: هل أخذت ميادين الجد في حياتنا الاهتمام الذي أخذته ميادين اللعب واللهو ؟ أم كما قال بعض المعاصرين: أخذوا قوانين الجد فوضعوها في ميادين اللعب، وتركوا ميادين الجد بغير قانون؟

بين الأحزان والأفراح

وهل تأخذ مسابقات العلم الشرعي وحفظ القرآن والسنة من الاهتمام والرعاية والمكافآت والدعاية مثلما تأخذه مسابقات اللعب ؟ والجواب: لا.

ربما يقول قائل: نعم إننا نهتم بمسابقات القرآن ونعطي عليها الجوائز ونُعلن عنها في الصحف. وهذا صحيح، لكنه ليس بنفس الولاء لكتاب الله وحامليه، وحديث رسول الله ﷺ وحافظيه.

فمسابقات القرآن والسنة لم تنل عند الكثيرين من المكافآت والأموال إلا فتات الموائد!

إن الله تعالى كرم القارئ لكتابه بالحرف الواحد عشر حسنات، ولمن قرأ سورة «الكهف» يوم الجمعة بالنور يوم القيامة، ومن يقرأ القرآن وهو ماهر به بأن يكون مع السفرة الكرام البررة، وبأجرين لمن يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاق، وبصلاة الله وملائكته وأهل السماوات والأرض والنمل في جحره والحوت في بحره على معلم الناس الخير.

فهل إذا علم الناس هذا التكريم الرباني تحفزوا ولاءً لله وللمؤمنين، أن يعتنوا حقيقة بمن اعتنى الإسلام بهم.

والسؤال الثالث: ما الذي أوصل الأبناء أن يعرضوا حياتهم ومستقبلهم لهذه الأخطار من جراء عصبية لا تعود عليهم إلا بالدمار ؟

والجواب: إنهما الأبوان اللذان هما في الأصل على نفس السلوك الذي تربى عليه الابن.

وبافتراض سلامتهما من هذه الآفة لكنهما لم يجنبا ابنهما الإصابة بها، فتركوه يتلقى مبادئه وعلومه وآدابه وتربيته من القرناء والأصدقاء، فضلاً عن افتقاد الأسوة والهدي النبوي في تربية النشء: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

أثر القصة في تربية النشء

هناك فجوة عميقة، وهوة سحيقة بين الآباء والأبناء نتجت عن حياة معقدة مليئة بالواجبات والمتطلبات، والملهيات والمغريات، هذه الفجوة جعلت من الصعوبة بمكان، على الأب أن يتفرغ لمجالسة أبنائه ومحادثتهم ومناقشتهم، والتعرف على الجوانب الإيجابية والسلبية فيهم، ومن ثَمَّ تلمس الداء والدواء، فضلاً عن القيام بالعملية التعليمية التربوية لهذا النشء التي هي تكليف من رب العباد، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

والله تعالى جعل في كتابه مكانًا عظيمًا للقصص الذي به سلوى النفوس المبتلاة، وتثبيت الأفئدة على أمر الله، ففي القصص ذكرى وعبرة وتفكر، ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

والقصة تحكي جسرًا يعبر عليه الطفل إلى ساحل بحر الأبوين وهي قارب النجاة الذي ينجون به من فتنة الأمواج المتلاطمة في خضم الحياة المعقدة في العصر العجيب.

ولذلك ينبغي للأبوين الحرص عليها لأنها تستحوذ على اهتمام الطفل وتُجمِّع تركيزه، فتتلخص أمامه الفكرة ويتجسد الهدف، خاصة كلما كانت القصة هادفة وأحداثها مثيرة.

فإذا كانت هكذا، فما أجمل أن تُبدأ باسم الله الرحمن الرحيم، أو بالصلاة على النبي ﷺ، أو بدعاء في وقت تركيز الأبناء.

فإذا روعي في القصة سن الطفل وقدرته وإدراكه كانت الاستفادة على أعلى مستوى، خاصة إذا كانت القصة معايشة للواقع القريب من الطفل والمستوى الاجتماعي، ولا تكون خيالية تنقله من الحقيقة إلى الخيال، ومن الاستفادة إلى التسلية وتضييع الوقت، كما ينبغي أن يكون التركيز على خلق وسلوك يؤخذ من هذه القصة يستنبطه الأولاد وحدهم من خلال عرض الأحداث.

وحينئذ يمكن تثبيت المصطلحات الإيمانية الشرعية عندهم، من حلال وحرام، وخيانة وأمانة، وصدق وكذب، وجنة ونار، وسماوات وأرض، وظلم وعدل، وحب وبغض.

ولابد أن تنتهي القصة بسؤال الأطفال، لو كانوا مكان شخصيات هذه القصة سواءً الإيجابية منهم

والسلبية فماذا كانوا سيصنعون ؟ وهل يرضون عن هذه أو هذه ؟ ويكون فائدة ذلك غرس المبادئ والأخلاق بينهم.

نماذج من الحكايات والقصص

كان الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- يعرفون قيمة تأثير القصة على سلوك أولادهم وتربيتهم نفسيًا واجتماعيًا وإيمانيًا وعباديًا، فكانوا يقصون عليهم أخبار مغازيهم مع رسول الله ﷺ، وهذه نعم القَصص ونعم السيرة ونعم السلوك والعطاء والبذل والفداء، فكان تأثير القصة على الأبناء تأثيرًا فعالاً إيجابيًا قولاً وعملاً.

فنشأ أبناؤهم جيلٌ فريدٌ ليست الدنيا ومظاهرها همه، إنما همه الآخرة، همه طاعة الله ورسوله.

جيل خلف من سبقه وهو يدعو الله له: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

جيل لا تُقبل نفسه على لعب وعصبية، أو تحت راية عمية وجاهلية، ولكن يبذل كل ما يملك ويستطيع "ولو كانت روحه التي بين جنبيه" سهلة رخيصة من أجل الله ودينه، فاللهم ألحقنا بهم على خير.

نساء لا يعرف العنف طريقًا إلى حياتهن

١- قالت الربيع بنت معوذ: قلت لزوجي: أختلع منك بجميع ما أملك، قال: نعم، فدفعتُ إليه كل شيء إلا درعي (قميصي) فخاصمني (شكاني) إلى عثمان، فقال: له شَرْطُه، فدفعتُه إليه. وفي رواية عثمان: الشرط أمْلَكْ، فخذ كل شيء حتى عقاص رأسها (ضفائرها). وأصل العقيصة هي الشعر المضفور، والعقص هو اللُّي وإدخال أطراف الشعر في أصوله.

فلتحذر المسلمة حين تشترط، ولتعلم أن المسلمين على شروطهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

٢- عن الشعبي قال: تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه أسماء بنت عميس رضي الله عنها، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك، فقال لها علي: اقضي بينهما، فقالت: ما رأيت شابًا خيرًا من جعفر، ولا كهلاً خيرًا من أبي بكر، فقال لها: فما أبقيت لنا؟ [الإصابة ٧/٤٩٠].

رحم الله أسماء بنت عميس، فلقد كانت دائمًا صاحبة المواقف العظيمة، وهي في هذا الموقف النبيل الكريم، وفي وجود زوجها الثالث، علي بن أبي طالب، تضع كل زوج من أزواجها الذين توفوا عنها في موضع حسن، وتلقن أبناءها درسًا تربويًا بألا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد، وهذا غاية النبل في إنزال الناس منازلهم، والتعامل مع الناس بالرحمة دون عنف أو فظاظة.

وبهدوء ولطف تقربت المسلمة إلى الله بأحسن شيء

لما نذرت امرأة عمران ما في بطنها لخدمة المسجد، سألت ربها القبول، فلما وضعت ما في بطنها كان المولود أنثى، والأنثى ليست كالذكر في الخدمة والقيام ببعض الأعمال، فقالت: يا رب كنت أريدها ذكرًا ليقوم بالخدمة على وجه أكمل وأقوى من الأنثى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فلما رأى الله تعالى منها الصدق والإخلاص في نذرها: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران: ٣٧].

فلتتقرب المسلمة إلى ربها بأحسن ما تستطيع في كل شيء، ولتكن ذات قوة وعزيمة وإتقان في عملها، والله تعالى يقول: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة: ٦٣].

ويقول: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٥٥].

ومن الرفق واجتناب العنف: الوفاء

عن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية أم الدرداء، رضي الله عنهما، فأبت أن تتزوجه، وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال النبي ﷺ: «المرأة في آخر أزواجها». أو قال: «لآخر أزواجها»، أو كما قال، ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً. [صفوة الصفوة ٤/٢٩٧].

فهذه المؤمنة الفاضلة أم الدرداء رضي الله عنهما بلغ بها الإحسان والوفاء لزوجها المُتوفى أبي الدرداء رضي الله عنه أن ترفض الزواج بأحد بعده، ولو كان أميرًا على المسلمين، لما رأته من إحسان زوجها أبي الدرداء إليها إحسانًا جعلها لا تفكر في الزواج بعده، وتنتظر لقاءه في الجنة، فاللهم ارزقنا وإياها الجنة. وهذه بلا شك رسالة إحسان، عسى أن يفهمها أزواج هذا الزمان !!

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة الثانية والتسعون

قصة المرأة التي في بطنها شيطان

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على الألسنة وغرهم انتشارها في بعض كُتب العقيدة المشهورة، وزادهم غرورًا ان هذه القصة أوردها أصحاب هذه الكتب دون تحقيق، ونقلها بعضهم عن بعض دون الرجوع إلى الأصول التي اخرجت هذه القصة والوقوف على درجة هذه القصة بالتخريج والتحقيق مما جعل أصحاب بدعة التعامل مع الجان يتخذون هذه القصة الواهية دليلاً على بدعتهم، وكم من امراة ادعت ان في بطنها شيطانًا تشد إليها الرحال من كل مكان لطلب العون من شيطانها على امر من الأمور، فإذا اعترض احد من اهل السنة على هذه البدعة، واجهوه بهذه الكتب التي تحمل هذه القصة الواهية، فعندئذ يسكتون لعدم درايتهم بحقيقة هذه القصة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد / علي حشيش

▫▫ أولاً: القصة ▫▫

روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «أبطأ عليه خبر عمر رضي الله عنه فكلم امرأة في بطنها شيطان، فقالت: حتى يجيء شيطاني فأسأله، قالت: رأيت عمر متزرًا يهنأ (يعني يسم) إبل الصدقة، وقال: لا يراه الشيطان إلا خرَّ لمنخريه (للملك) بين عينيه، وروح القدس ينطق على لسانه».

ولقد جاءت هذه القصة في أحد كتب العقيدة المشهورة بلفظ: «إن عمر تأخر ذات مرة في سفره، فاشتغل فكر أبي موسى، فقالوا له: إن امرأة من أهل المدينة لها صاحب من الجن، فلو أمرتها أن ترسل صاحبها للبحث عن عمر، ففعل، فذهب الجني، ثم رجع، فقال: إن أمير المؤمنين ليس به بأس، وهو يَسِمُ إبل الصدقة في المكان الفلاني».

▫▫ ثانيًا: التخريج ▫▫

أخرج هذه القصة الواهية عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» ح(٣٠٤) قال: حدثنا شجاع بن مخلد إملاءً، قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن عمر بن محمد، عن سالم بن عبد الله، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «أبطأ عليه خبر عمر...» فذكر القصة.

قال أبو عبد الرحمن: حدثنا به شجاع مرتين، مرة عن أبي موسى، ومرة قال: أبطأ على أبي موسى خبر عمر.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٦٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٩/٤٤) من طريق يحيى بن يمان به.

▫▫ ثالثًا: التحقيق ▫▫

هذه القصة واهية بالسقط في الإسناد والطعن في الراوي.

١- السقط في الإسناد:

أ- قال الإمام ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» (١٢٧/٢٩١): سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب- رضي الله عنهم- قال أبو زرعة: سالم بن عبد الله بن عمر عن جده عمر بن الخطاب، مرسل. اهـ.

ب- لا توجد رواية لسالم بن عبد الله بن عمر عن أبي موسى الأشعري، كذا في «تهذيب الكمال» للمزي (٧/١٥/٢١٣١). اهـ.

قُلْتُ: وبهذا يتبين من الإرسال الإسقاط الذي بالسند.

٢- الطعن في الراوي:

يحيى بن يمان العجلي، أورده الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١١/٢٦٧) ونقل فيه أقوال الأئمة:

أ- قال زكريا الساجي: ضعفه أحمد، وقال: حدث عن الثوري بعجائب.

ب- وقال حنبل بن إسحاق عن أحمد: ليس بحجة.

جـ- وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين ليس بثبت لم يكن يبالي أي شيء حدث، كان يتوهم الحديث، قال وكيع: هذه الأحاديث التي يحدث بها يحيى بن يمان ليست من أحاديث الثوري.

قُلْتُ: لذلك لم يرو الإمام مسلم ليحيى بن يمان العجلي من طريق سفيان الثوري كذا في «تهذيب الكمال» للمزي (٢٠/٢٦٧/٧٥٤٧).

ولقد بينا ذلك حتى لا يتقول علينا أحد ويقول: إن يحيى بن يمان العجلي روى له مسلم.

نقول له: روى له مسلم، ولكن لم يرو له مسلم من طريق سفيان الثوري، فكما تبين أنه حدث عن الثوري بعجائب وليست من أحاديث الثوري، وقال الآجري عن أبي داود: يخطئ في الأحاديث ويقلبها، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال يعقوب بن شيبة: يحيى بن يمان أحد أصحاب سفيان وهو يخطئ كثيرًا في حديثه.

قُلْتُ: وهذه القصة من طريق يحيى بن اليمان عن سفيان الثوري.

وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٤١٦/٩٦٦١)، ونقل أقوال الأئمة فيه:

أ- قال محمد بن عبد الله بن نُمير: كان سريع الحفظ، سريع النسيان.

ب- ذكره أبو بكر بن عياش فقال: ذاك ذاهب الحديث.

جـ- وقال ابن معين والنسائي: ليس بالقوي.

قُلْتُ: وأورده الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٧/٢٣٥) (٨٤/٢١٣٧).

وأخرج عدة أحاديث من منكرات وعجائب يحيى بن اليمان عن سفيان الثوري منها:

أ- «كان السواك من إذن النبي ﷺ موضع القلم من أذن الكاتب».

ب- «كاد الحسد أن يغلب القدر، وكاد الفقر أن يكون كفرًا».

جـ- «زار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم يُرَ باكيًا أكثر من يومئذ».

قُلْتُ: وعقب كل حديث من هذه المناكير والعجائب يقول الإمام ابن عدي: «هذا عن الثوري بهذا الإسناد يرويه ابن يمان». اهـ.

ثم ختم ترجمته التي زادت عن أربعين سطرًا فقال: «ولابن يمان عن الثوري غير ما ذكرت وعامة ما يرويه غير محفوظ وابن يمان في نفسه لا يتعمد الكذب إلا أنه يخطئ ويشتبه عليه». اهـ.

قُلْتُ: وأورده الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/٤٣٣/٢٠٦٥)، وقال: «لا يتابع على حديثه». اهـ.

من هذا التحقيق يتبين أن القصة واهية بما فيها من علل: علة السقط في السند كما بيّنا آنفًا، والعلة الأخرى: الطعن في الراوي يحيى بن اليمان خاصة في روايته عن الثوري، فقد جاء بالعجائب والمنكرات كما تبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل.

فليحذر الذين يذهبون إلى امرأة تدعي أن في بطنها شيطانًا يسألونها ويسألون شيطانها عن أمور حياتهم فإن حياتهم ستتحول إلى ضنك، فإذا تعرضوا لسرقة ذهبوا إلى الشيطان يسألونه فأوقع

بينهم وبين أقاربهم العداوة والبغضاء حتى كادوا أن يقتتلوا.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

فليتمسك الإنسان بالسنة، وليبتعد عن بدعة التعامل مع الجان، فإن النجاة في عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث نقل شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- في «مجموع الفتاوى» (٤/١٣٧) عن الإمام مالك- رحمه الله تعالى- قوله: «السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك».

ثم بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- العلاقة بين عقيدة أهل السنة وسفينة نوح- عليه السلام- فقال: «وهذا حق، فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وإن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا، والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه». اهـ.

فليحذر المسلم الذهاب إلى أصحاب بدعة التعامل مع الجان، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وسيحفظك الله، ولن يضرك شيء.

فقد ثبت في مسند أحمد، وسنن الترمذي، ومستدرك الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

هذا لفظ الإمام الترمذي في السنن (ح٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، فلا تغتر بهذه القصص التي تجعل الشياطين يسكنون بطون النساء والأطفال، مثل قصة «الجرو الأسود» التي يتخذها أصحاب بدعة التعامل مع الجان دليلاً لبدعتهم، تلك القصة الواهية التي جاءت عن حماد بن سلمة، عن فرقد السبخي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن ابني به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا، فيخبث علينا، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثَعَّ ثَعَّةً- يعني: سَعَلَ- وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فشفي.

قُلْتُ: أخرج حديث هذه القصة الواهية: أحمد في «المسند» (١/٢٥٤، ٢٦٨)، والدارمي (١/١١، ١٢)، وأبو نعيم في «الدلائل» (ح٢٩٥)، وعلة هذا الحديث فرقد السبخي، وهو منكر الحديث لا يحتج به، فقد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٣٤٥/٦٦٩٩).

ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، فقال الإمام النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال أبو حاتم ليس بالقوي، وقال البخاري في حديثه مناكير، وقال يحيى القطان: ما يعجبني الرواية عنه، وقال حماد بن زيد: سألت أيوب عنه فقال: لم يكن صاحب حديث.

وفي «التهذيب» (٨/٢٣٦) قال يعقوب بن شيبة: رجل ضعيف الحديث جدًا، وقال عبد الله بن أحمد سألت أبي عنه فحرك يده كأنه لم يرضه، وقال الساجي: كان يحيى بن سعيد يكره الحديث عنه، وقال ابن المديني: ليس بثقة، وقال ابن حبان: كانت فيه غفلة ورداءة حفظ فكان يرفع المراسيل وهو لا يعلم ويسند الموقوف من حيث لا يفهم فبطل الاحتجاج به، وقال الحاكم أبو أحمد: منكر الحديث، وقال ابن سعد: كان ضعيفًا منكر الحديث».

قُلْتُ: هذه هي القصص الواهية المنكرة التي يتخذها من لا دراية له بهذا العلم دليلاً على بدعة التعامل مع الجان، وأنه يسكن بطون بني آدم في هيئة جرو أسود، حفظكم الله من هذه القصص الواهية، وأثرها السيئ على الأمة بتمسككم بالسنة، هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

من فتاوى علماء الأزهر

حول الأضرحة والقبور

لا يجتمع مسجد وقبر في الإسلام

سُئل: ما حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور؟

أجاب قائلاً: «نفيد أنه قد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه «لا يجوز أن يُدْفَن في المسجد ميت، لا صغير ولا كبير، ولا جليل ولا غيره ؛ فإنَّ المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر». [الفتاوى ٢/٨٥].

وقال في فتوى أخرى: «إنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإنْ كان المسجد قبل الدَّفنْ غُيِّر ؛ إما بتسوية القبر، وإمَّا بنَبْشِه إنْ كان جديدًا... إلخ». [الفتاوى الكبرى ٢/٨٠].

وذلك لأنَّ الدفن في المسجد إخراج لجزء من المسجد عما جُعِل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النَّفل والذِّكر وتدريس العلم، وذلك غير جائز شرعًا؛ ولأنَّ اتخاذ قبر في المسجد، على الوجه الوارد في السؤال، يؤدي إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده، وقد وردت أحاديث كثيرة دالة على حظر ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٥٨) ما نصُّه: «إنَّ النصوص عن النَّبي ﷺ تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقًا، وعن اتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها».

ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تجلسوا على القبور ولا تُصلُّوا إليها». [أخرجه مسلم ٩٧٢].

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»: «نصَّ الإمام أحمد وغيره على أنه إذا دُفِنَ الميت في المسجد نُبِش». [زاد المعاد ٣/٥٧٢].

وقال ابن القيم أيضًا: «لا يجتمع في دين الإسلام قبر ومسجد، بل أيُّهما طرأ على الآخر مُنع منه وكان الحكم للسابق». [زاد المعاد ٣/٥٧٢].

وقال الإمام النووي رحمه الله في «شرح المهذب» (٥/٣١٦) ما نصه: «اتفقت نصوص الشافعية والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهورًا بالصلاة أو غيره ؛ لعموم الأحاديث، قال الشافعي والأصحاب: وتُكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحًا أو غيره.

قال الحافظ أبو موسى: قال الإمام الزعفراني رحمه الله: ولا يصلَّى إلى قبر ولا عنده تبركًا به ولا إعظامًا له؛ للأحاديث».

[المجموع للنووي ٥/٣١٦، ٣١٧].

والله أعلم.

حرمة الصلاة في المسجد ذات القبور

وُجه إلى فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت سؤال مفاده: توجد في بعض المساجد أضرحة ومقابر، فما حكم إقامتها ؟ وما حكم الصلاة إليها ؟ والصلاة فيها؟

الجواب: أجاب فضيلة الشيخ محمود شلتوت- شيخ الأزهر الشريف- قائلاً:

تطهير بيوت العبادة

شُرعت الصلاة في الإسلام لتكون رباطًا بين العبد وربه، يقضي فيها بين يديه خاشعًا ضارعًا يناجيه، مستشعرًا عظمته، مستحضرًا جلاله، ملتمسًا عفوه ورضاه ؛ فتسمو نفسه، وتزكو روحه، وترتفع همته في ذل العبودية والخضوع لمولاه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وكان من لوازم ذلك الموقف، والمحافظة فيه على قلب المصلي، أن يُخلص قلبه في الاتجاه إليه سبحانه، وأن يُحال بينه وبين مشاهد من شأنها أن تبعث في نفسه شيئًا من تعظيم غير الله، فيُصرف عن تعظيمه إلى تعظيم غيره، أو إلى إشراك غيره معه في التعظيم.

ولذلك كان من أحكام الإسلام فيما يختص بأماكن العبادة تطهيرها من هذه المشاهد: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

واجب المسلمين نحو الأضرحة

وإذا كان الافتتان بالأنبياء والصالحين، كما نراه ونعلمه شأن كثير من الناس في كل زمان ومكان، فإنه يجب- محافظة على عقيدة المسلم- إخفاء الأضرحة من المساجد، وألا تُتَّخذ لها أبواب ونوافذ فيها، وبخاصة إذا كانت في جهة القبلة، فيجب أن تُفصل عنها فصلاً تامًا بحيث لا تقع أبصار المصلين عليها، ولا يتمكنون من استقبالها وهم بين يدي الله، ومن باب أولى يجب منع الصلاة في نفس الضريح، وإزالة المحاريب من الأضرحة.

وإن ما نراه في المساجد التي فيها الأضرحة، ونراه في نفس الأضرحة، لما يبعث في نفوس المؤمنين سرعة العمل في ذلك، وقاية لعقائد المسلمين وعباداتهم من مظاهر لا تتفق وواجب الإخلاص في العقيدة والتوحيد، ومن هنا رأى العلماء أنَّ الصلاة إلى القبر أيًا كان محرمة، ونهي عنها، واستظهر بعضهم بحكم النهي بطلانها ؛ فليتنبه المسلمون إلى ذلك، وليسرع أولياء الأمر في البلاد الإسلامية إلى إخلاص المساجد لله كما قال الله: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

لا تتخذوا القبور مساجد

والإسلام من قواعده الإصلاحية أن يسد بين أهله ذرائع الفساد، وتطبيقًا لهذه القاعدة صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكُم عن ذلك».

[أخرجه مسلم ٥٣٢].

نهى الرسول ﷺ وشدد في النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وذلك يصدق بالصلاة «إليها»، والصلاة «فيها»، وأشار الرسول ﷺ إلى أن ذلك كان سببًا في انحراف الأمم السابقة عن إخلاص العبادة لله، وقد قال العلماء: إنه لما كثُر المسلمون، وفكر أصحاب الرسول ﷺ في توسيع مسجده، وامتدت الزيادة إلى أن دخلتْ فيه بيوت أمهات المؤمنين، وفيها حجرة عائشة- مدفن الرسول ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر- فبنوا على القبر حيطانًا مرتفعة تدور حوله مخافة أن تظهر القبور في المسجد فيصلي إليها الناس، ويقعوا في الفتنة والمحظور.

تحريم إقامة الأضرحة وتشييد القبور

تلقت لجنة الفتوى بالأزهر السؤال التالي:

دُفن «شخص» بطابق علوي ودفن قبلاً والده بالطابق الأرضي من المقبرة، ويُراد نقل الأول إلى مقام شُيِّد له، وبالأرض رطوبة ضاربة بالجدران ظاهرة للعيان حتى إنَّ الجدران لا تُمسك مواد البناء فيها (الأسمنت)، فهل من أئمة المسلمين من يجيز نقل الميت بعد دفنه؟

الجواب: اطَّلعت اللجنة على هذا، وتفيد: بأنه إذا كان الحال كما ذكر به جاز نقل هذا الميت إلى مكان آخر، ولكن لا يجوز شرعًا نقله على ضريح أو قبة كما يصنعه بعض النَّاس لمن يعتقدون فيه الولاية والصلاح؛ فإن هذا نهى عنه رسول الله ﷺ ؛ فقد روى مُسلم وغيره عن أبي هياج الأسدي «حيان بن حصين» عن عليّ رضي الله عنه قال: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؛ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته». [أخرجه مسلم ٩٦٩].

وعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن يُجصص القبرُ وأن يُقعد عليه وأن يُبنى عليه». رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وصححه.

ولفظه- أي: الترمذي-: «نهى أن يبنى على القبر أو يزداد عليه أو يجصص أو يكتب عليه».

قال الشوكاني في شرحه للحديث الأول: ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أوليًا: القُبَبُ والمشاهدُ المعمورةُ على القبور. إلى أن قال: وكم سرَى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجَهَلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام: وعَظُم ذلك، فظنُّوا أنها قادرةً على جَلْب النفع ودفع الضُّرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدُّوا إليها الرِّحال، وتمسَّحوا بها واستغاثوا.

وجملة القول: أنَّ اللجنة ترى تحريم نقل هذا الميت إلى ضريح أو قبر ذي قبة؛ للأحاديث التي ذكرها الشوكاني وغيره، وهي مفاسد تمس العقيدة وتخل بالإيمان الصحيح.

حرمة رفع البناء والقباب على القبور

سُئل (الشيخ: عبد المجيد سليم- رحمه الله): «وقفت امرأة وقفًا، وقررت أن يُعمل من إيراد الوقف تركيبتان من الرخام تُوضع إحداهما فوق قبرها والأخرى فوق قبر زوجها، وقد سمع القائم بتنفيذ الوصية أن هذا الفعل محرم وغير جائز شرعًا، فما الحكم»؟

الجواب: اعلم أنه يحرم رفع البناء على القبر ولو للزينة، ويكره للإحكام بعد الدفن، بل تكره الزيادة العظيمة من التراب على القبر؛ لأنه منهي عنه؛ لما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر وأن يُبني عليه». انتهى، الدر المختار وحاشيته.

وفي «الفتاوى الهندية»: «وإذا أوصى بأن يطيَّن قبره أو توضع على قبره قبة فالوصية باطلة إلا أن يكون في موضع يحتاج إلى التطيين لخوف سَبع أو نحوه».

وبناءً على ذلك فوضع التركيبتين لا يجوز شرعًا، ومتى كان الأمر كذلك بطل شرط الواقفة شراءهما بالمبلغ الذي عينته، ووجب صرف هذا المبلغ إلى الفقراء ؛ لأن ما بطل صرفه إلى الجهة التي عينها الواقف صُرف إلى الفقراء، وهذا إذا لم يكن في حجة الوقف التي لم يرسلها المستفتي إلينا ما يقضي بصرفه في جهة أخرى غير الفقراء، والله أعلم.

تنبيه هام

التوحيد: وإذا كنا ننقل فتاوى مشايخ الأزهر على امتداد تاريخه حول حكم الإسلام في تشييد الأضرحة والقبور، فإننا نلفت النظر إلى أن المختص بمعالجة هذه القضية الشرعية هم أولو الأمر وليس آحاد الناس، بل لا يجوز لآحاد الناس القيام بهدم هذه القبور والقباب أو إزالتها أو حرقها ونحو ذلك، وليس هذا من منهج جماعة أنصار السنة المحمدية قديمًا وحديثًا، بل إنَّ الجماعة تلفت نظر أولي الأمر لذلك، وتنبه من يشجعون على إقامة الأضرحة ولا سيما ممن ينتمون إلى العلم، وذلك من باب التعاون على البر والتقوى الذي أمر به رب العالمين سبحانه وتعالى. والله تعالى أعلم.

الشيخ/ بكر بن عبدالله أبو زيد

كما عرفته - رحمه الله -

إعداد / **محمد أحمد سيد أحمد**

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

هكذا يُرفع العلم ويتناقص ويتلاشى بموت العلماء، وفي الأمس القريب في السابع والعشرين من شهر الله المحرم ١٤٢٩هـ فقدت المملكة العربية السعودية والأمة الإسلامية عالمًا جليلاً وإمامًا محققًا وفقيهًا بارعًا، هو فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد- عضو هيئةِ كبارِ العلماء، ورئيس المجمع الفقهي.

كان الشيخ- رحمه الله- يتمتع بالأدب الجمّ، والخلق الرفيع، والسمت الصالح، وقد بلغ من العلم والورع والكرم وأصالة الرأي ورسوخ القدم والزهد مبلغًا عظيمًا، يُلحقه بالعلماء العاملين والدعاة المصلحين والأئمة الربانيين.

لقد أوتي الشيخ- رحمه الله- علمًا ثرًا وخُلُقًا كريمًا، وفصاحة قلّ نظيرها، حتى وُسم بأنه إذا تكلم أسمع، وإذا جادل أقنع، وكان- رحمه الله- عفيفًا زاهدًا في زخارف الدنيا وزينتها.

لقد تجلت هذه الصفات وتلك السجايا من خلال أعماله العلمية العظيمة، التي تنمُّ عن مَلَكةٍ علميةٍ راسخة، وكأن الشاعر قد عناه بقوله:

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

كان إذا تكلم في فن من فنون العلم ظن السامع أنه لا يُحسن غيره، وأنه متخصص فيه وحده، كان موسوعي المعرفة، وكان محدثًا كبيرًا، له مقدرة متميزة في تخريج الحديث والحكم عليه، وقد يرى في بعض الأحاديث من الرأي الصحيح ما لا تجده عند غيره سواء في تحديد درجة الحديث أم في فقهه والوقوف على دلالته.

وكان فقيهًا مجتهدًا، وما كان يرضى التعصب لمذهب من المذاهب مع إحاطته بها، بل كان يمشي مع الدليل، وقد تكونت لديه ملكة فقهية عظيمة، وكان إذا سُئل لا يتسرع بالإجابة، بل يسأل عن دقائق الموضوع المطروح حتى يستوعبه ويكون عنده تصور صحيح دقيق للموضوع، ثم يُجيب.

ولقد تجلّى علمه الواسع ومعتقده السلفي من خلال مؤلفاته القيمة.

كانت حياة الشيخ بكر أبو زيد- طيب الله ثراه- ترجمة صادقة للأخلاق العظيمة والسجايا الكريمة التي ينبغي أن يتحلى بها كل عالم يقصد بعلمه وجه الله وإعلاء كلمته وإعزاز دينه وإحياء سنة رسوله عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة ﷺ، لا يخشى في الحق لومة لائم.

لقد فقدنا علمًا من أعلام الأمة الإسلامية، ونحن أحوج ما نكون لمحصول علم قضى في تحصيله وتحقيقه قرابة سبعين عامًا، فقدناه ونحن أحوج ما نكون إلى نضج عقله وسلامة تفكيره وصحة نظره وغزارة علمه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن وفاة هذا العالم الجليل ستترك فراغًا كبيرًا لا يملؤه إلا بقاء علمه وفكره وذكره لأنه من كبار حملة ميراث النبوة ومن دعاة الهدى وأئمة التربية والتوجيه والإصلاح، هكذا حسبناه، ولا نزكي على الله أحدًا.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنته، وجمعنا به ووالدينا ومشايخنا وإخواننا المسلمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

نعمة النطق

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله، واصلي واسلم على مَن ارسله الله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فدلّ امته على كل خير، وحذّرها من كلّ شرّ، صلى الله عليه وآله وسلم،

وبعد:

فنِعَمُ الله على عباده لا تُعدُّ ولا تحصى، ومن اعظم هذه النعم نعمة النطق التي يُبين بها الإنسان مراده، ومن فقدها لا يمكنه التفاهم مع غيره إلا بالإشارة او الكتابة إن كان كاتبًا، قال الله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

وقد أقسم الله تعالى بنفسه على تحقيق البعث والجزاء على الأعمال، مثلما أنّ النطق حاصلٌ واقعٌ من المخاطبين، وفي ذلك تنويه بنعمة النطق، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣- ٤]، وفسّر الحسنُ البيانَ بالنطق، وفي ذلك تنويهُ بنعمة النطق التي يحصل بها إبانة الإنسان عمّا يريده، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨- ٩]، ومن المعلوم أنّ هذه النعمة إنما تكون نعمة حقًا إذا استُعمل النطق بما هو خير، أمّا إذا استُعمل بشرٍّ فهو وبالٌ على صاحبه، ويكون من فقد هذه النعمة أحسنَ حالاً منه، ولذا كثرت وصايا رسول الله ﷺ بحفظ اللسان، والتحكم فيه، فقال ﷺ: «مَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ فليقُلْ خيرًا أو ليصمت». متفق عليه.

وقال ﷺ: «مَنْ يضْمنْ لي ما بين لحييه وما بين رجْليه أضْمنْ له الجنةَ». رواه البخاري.

وعن عقبة بن عامر- رضي الله عنه- قال: قلتُ: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك». [الترمذي ح٢٤٠٦، والصحيحة ح٨٩٠].

وقال ﷺ: «وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم أو على مناخرِهم إلا حصائدُ ألسنتهم».

قال الحافظ ابن رجب في شرحه: «والمرادُ بحصائد الألسنة: جزاءُ الكلام المحرَّم وعقوباته، فإنّ الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثُمّ يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قولٍ أو عملٍ حَصَد الكرامة، ومن زرع شرًا من قولٍ أو فعلٍ حصد الندامة، وهذا يدلُّ على أنّ كف اللسان وضبطه وحبسَه هو أصل الخير كلّه، وأنّ من ملك لسانه قد ملك أمره وأحكمه وضبطه». اهـ.

وعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الرّجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ من رضوانِ الله تعالى ما كانَ يظُنُّ أن تبلُغَ ما بلغتْ يكتبُ اللهُ بها رضوانَه إلى يوم يلقاهُ، وإنّ الرّجلَ ليتكلّم بالكلمة من سَخَطِ الله ما كانَ يظُنُّ أن تَبلُغَ ما بلغت يكتبُ اللهُ بها سَخَطه إلى يوم يلقاهُ». [صحيح الجامع ١٦١٩]. فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: والذي لا إله غيرُه ما على ظَهْرِ الأرض شيءٌ أحوجُ إلى طولِ سَجْنٍ مِنْ لِسانٍ.

وعن أبي وائلٍ عن عبد الله رضي الله عنه: أنّه ارتقى

الصّفا، فأخذَ بلسانِه فقال: يا لسانُ، قُلْ خيرًا تَغْنَمْ، واسْكُتْ عن شـرٍ تسْلَم، مِن قَـبْلِ أنْ تَنْدَمَ. ثُمَّ قـال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أكثرُ خطايا ابنِ آدم في لسانه». [صحيح الترغيب ٢٨٧٠].

وعن أسلم: أنَّ عـمـرَ دخَل يومًـا على أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما، وهو يجْبِذُ لسانَهُ. فقال عـمر: مَـهْ، غـفر الله لك. فـقـال له أبو بكر: إنَّ هذا أوْردني الموارد، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كُتب عليه حتى أنينه في مرضه، فلما مرض الإمام أحمد فقيل له: إن طاووسًا كان يكره أنين المرض، فتركه.

الله أكـبـر- أنين المريض يكتب؟ نعم، فكيف بالغيبة والنميمة والكذب والفحش وهتك العورات وقذف المحصنات... وغير ذلك.

قال عطاء بن أبي رباح: إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو تنطق في معيشتك التي لا بد منها، أتنكرون أنَّ عليكم حافظين، كرامًا كاتبينَ ﴿عن الْيمِينِ وعنِ الشِّمالِ قَعيدٌ (١٧) ما يلْفِظُ منْ قـوْلٍ إلاَّ لَدَيْه رقِيبٌ عـتِـيـدٌ﴾ [ق: ١٧- ١٨]، أما يستحي أحدكم لو نُشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته».

فـالزم الصمت- أخي- فـإنه يكسبك صنوف المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار، قال ﷺ: «عليك بحسن الخُلُق، وطولِ الصّمت، فـوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائقُ بمثلهما». [صحيح الجامع ٤٠٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: ومن العجب أنَّ الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزّنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدِّين والزُّهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل مُتورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول. اهـ.

إي- وربِ الكعـبـة- إنَّ في الناس من يعـيشُ صفيقَ الوجه، شرسَ الطبع، لا تحجزُه مروءةٌ، ولا يردعُه دينٌ أو أدبٌ، جَرَّدَ لسانَه مِقراضًا للأعراض بكلماتٍ تنضحُ فحشًا، وألفاظٍ تنهشُ نهشًا، يسرفُ في التجني على عباد الله، وكأنه قد وُكِلَ إليه تجريحُ عباد الله.

وقد حذَّر الله تعالى من انتهاك حُرُماتِ المسلمين وإيذائهم. قـال تعـالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾

[النساء: ١١٢].

فيا أخي: أمسك عليك لسانك، فقد صرَّح رسول الله ﷺ بأنَّ المسلمَ الكاملَ الإسلامِ هو الذي لا يؤْذي المسلمين، فقد سُئل ﷺ: أيُّ المسلمين خيرٌ؟ قال: «مَن سَلِمَ المُسلمون من لسانه ويده». [رواه مسلم].

وإذا لم يملكْ الإنسانُ نفسَه كان فمُه مدخلاً لكلِّ ما يعابُ فـتتلوثُ السيرةُ، ويغلظُ الحجابُ على القلب. قال ﷺ: «لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

[صحيح الترغيب ٢٨٦٥].

فلسانُ العاقل يكون وراء قلبه، فإذا أراد القولَ رجع إلى القلب، فإن كان له قال، وإلاَّ فلا.

عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: «ما صلح منطقُ رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطقُ رجل قطُّ إلا عرفت ذلك في سائر عمله».

فيا أخي: «قُلْ خيرًا تَغْنَمْ، واسْكُتْ عنْ شرٍ تَسْلَمْ، مِن قَبْلِ أنْ تَنْدَمَ»، وليكُنْ حظُّ المؤمن منك ثلاثة: إنْ لم تَنفعهُ فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمّه، وإن لم تمدحه فلا تذمه. فرحم الله من حفظ لسانه ليوم فقره.

اللهم نزِّه ألسنتنا عما يشين، وسخرها في طاعتك يا كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أخطار تهدد الأسرة

الحمد لله القائل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، واشهد ان لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شَرَّعَ لعباده وكان بهم لطيفًا، واشهد ان محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما: النحلة: المهر. وعن عائشة رضي الله عنها: نحلة: فريضة، وقيل: النحلة في كلام العرب: الواجب، وقال: لا ينكحها إلا بشيء واجب لها، وليس لأحد بعد النبي ﷺ ان ينكح امراة إلا بصداق واجب. [ابن كثير ١/٦٢٠].

وصدُقاتهن بضم الدال خلاف صدَقاتهن بفتح الدال، حيث وردت الصدَقات بفتح الدال في القرآن الكريم في سورة التوبة لبيان المصارف التي تصرف فيها زكوات الأموال على الفقراء؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، والصدَقات تعطى لأهل الحاجة، أما الصدُقات فتعطى للزوجات، أي أن المعطي والآخذ سواء، وليس في دفع الصداق هناك يد عليا ويد سفلى، بل الأيدي سواء المعطية والآخذة ؛ لأنه حق مفروض للمرأة واجب الدفع على الزوج، ومهما كان عظيمًا لا يحل للزوج منه شيءٌ إلا عن طيب نفس منها ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٢٠]. قال ابن كثير: إذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها، فلا يأخذ مما كان أصدق الأولى شيئًا، ولو كان قنطارًا من المال. [ابن كثير ١/٦٤١].

وذكر أحاديث في معنى القنطار في سندها مقال عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية...». وعن أنس رضي الله عنه: القنطار ألفا أوقية. [ابن كثير ١/٤٨٦-٤٨٧].

وعلى كل حال فالصداق حق واجب للزوجة، والأصل فيه التخفيف واليسار على الزوج وعدم تكليفه ما لا يطيق، وأوردت السنة صورًا من ذلك الصداق وما فيه من تخفيف.

أولاً: العتق والحرية صداق

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «سبى النبي ﷺ صفية رضي الله عنها فأعتقها وتزوجها. فقال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال أصدقها نفسها فأعتقها». وقال ابن حجر عن صفية رضي الله عنها قالت: «أعتقني النبي ﷺ وجعل عتقي صداقي»، وقال ابن الصلاح: معناه أن العتق يحل محل الصداق وإن لم يكن صداقًا، وقال ابن الجوزي: فإن قيل: ثواب العتق عظيم فكيف فَوَّتَهُ حيث جعله مهرًا؟ وكان يمكن جعل

غلاء المهور

إعداد /
شوقي عبدالصادق

المهر غيره، فالجواب: أن صفية بنت ملك، ومثلها لا يقنع إلا بالمهر الكثير، ولم يكن عنده ﷺ إذ ذاك ما يرضيها به، ولم يُرد أن يقصر فجعل صداقها نفسها، وذلك عندها أشرف من المال الكثير.

[فتح الباري ٩/٣٢-٣٣ بتصرف].

وقال ابن القيم في زاد المعاد: وجعل عتقها صداقها فصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة أن يعتق الرجل أمته ويجعل عتقها صداقها فتصير زوجته بذلك، فإذا قال: أعتقت أمتي وجعلت عتقها صداقها، أو قال: جعلت عتق أمتي صداقها صح العتق والنكاح وصارت زوجته من غير احتياج إلى تجديد عقد ولا ولي وهو ظاهر مذهب أحمد وكثير من أهل الحديث، وقالت طائفة: هذا خاص بالنبي ﷺ وهو مما خصه الله به في النكاح دون الأمة، وهذا قول الأئمة الثلاثة ومن وافقهم، والصحيح القول الأول، لأن الأصل عدم الاختصاص.

ثانيا: تعليم القرآن صداق وكذا حفظه

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست فقام رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «هل عندك من شيء؟» فقال: لا والله يا رسول الله، قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا». فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئًا. قال: «انظر ولو خاتمًا من حديد». فذهب ثم رجع فقال: ولا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري. قال سهل: ما له رداء. فلها نصفه. فقال رسول الله ﷺ: «ما تصنع بإزارك؟ إن لبسْته لم يكن عليها منه شيء وإن لبستْهُ لم يكن عليك شيء». فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله ﷺ موليًا، فأمر به فدُعي فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا- عدها- قال: «أتقرؤهن عن ظهر قلبك». قال: نعم. قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن». [اللؤلؤ والمرجان ٨٩٨].

وقال الصنعاني: وقوله: «بما معك من القرآن» يحتمل وجهين: أظهرهما أن يعلمها ما معه من القرآن، ويكون ذلك صداقًا، ويؤيده قوله في بعض طرقه الصحيحة: «فعلمها من القرآن». ويحتمل أن الباء للتعليل، وأنه زوجه بغير صداق إكرامًا له لكونه حافظًا لبعض القرآن.

[سبل السلام ٣/١١٣].

ومما سبق يتبين أن الصداق قد يكون منفعة تحصلها الزوجة من زوجها، وأعظم المنافع هو تعلم كتاب الله أو بعضه، أو مجاورة ومعاشرة حامل القرآن الذي يقرأ القرآن فهو كالأترجة ريحه طيب وطعمه حلو.

ثالثا: خاتم الحديد صداق والذهب والفضة أولى وأحسن

كما سبق في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قوله ﷺ: «انظر ولو خاتمًا من حديد». وقال الصنعاني: فإن قوله: «ولو خاتمًا من حديد» مبالغة في تقليله فيصح بكل ما تراضى عليه الزوجان أو من إليه ولاية العقد مما فيه منفعة.

[سبل السلام ٣/١١٣].

رابعا: الإسلام صداق

لما أخرجه النسائي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: تزوج أبو طلحة أم سليم فكان صداق ما بينهما الإسلام، أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة فخطبها، فقالت: إني قد أسلمت فإن أسلمت نكحتُك، فأسلم فكان صداق ما بينهما، وعند ابن سعد في الطبقات بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه لما خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركًا ! أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت؟ قال: فانصرف وفي قلبه ذلك ثم أتاها وقال: الذي عرضت عليَّ قد قبلت، قال: فما كان لها مهر إلا الإسلام، والراوي في الحالتين هو أنس بن مالك رضي الله عنه وهو ابن أم سليم من مالك، وكثير من الأولاد يكونون عقبة كؤودًا في طريق زواج أمهاتهم، إذا طلقن أو مات أزواجهن، وأم سليم اشترطت الإسلام في من تتزوجه وقبلَ هو الشرط وأسلم وكان إسلامه هو الصداق المدفوع لأم سليم.

ومن العجب أن يخرج علينا بعض بني جلدتنا فيحلون زواج المسلمة من المشرك مخالفين بذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ومخالفين بذلك إجماع العلماء، فقد أجمع الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريم زواج المسلمة بغير المسلم.

[الأم ٥/٥، والمغني ج٦ ص٦٣٤، بدائع الصنائع ج٢ ص٢٧١، ٢٧٢، المحلى ج١١، مسألة ١١٢٢، سفينة النجاة ج٢ ص٤٠١].

ولو فرض وتزوجت المسلمة بغير المسلم فقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية أن العقد يكون باطلاً ويلزم التفريق بينهما ولا يترتب على العقد شيء من أحكام الزواج الصحيح بعد الدخول أو قبله لانتفاء المحلية الأصلية التي هي شرط انعقاد العقد.

[الفتاوى ج٢ ص٧٠].

خامسا: أداة الحرب صداق

لما رواه أبو داود والنسائي وإسناده صحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما وأراد أن يدخل بها، قال له رسول الله ﷺ: «أعطها شيئًا». قال: ما عندي شيء. قال: «أين درعك الحُطمية؟» فأعطاها درعه. ومعلوم أن الدرع قيمته أكبر من قيمة خاتم الحديد، فلو صح أن يكون الخاتم صداقًا كما سبق في حديث سهل بن سعد لصح أن تكون الدرع كذلك. الحُطمية: هي الدرع التي تكسر السيوف، أو منسوب لصناعها.

سادسا: النعلان صداق

فعن عامر بن ربيعة أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال رسول الله ﷺ: «أرضيت عن نفسك ومالك بنعلين؟ فقالت: نعم، فأجازه».

[رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه: فقه السنة ٢/١٥٦].

مما سبق يتضح أن الشريعة لم تجعل حدًا لقلة الصداق ولا لكثرته، إذ الناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق، فتركت التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته وحسب حالته، ولا يشترط فيه إلا أن يكون شيئًا له قيمة بقطع النظر عن القلة والكثرة فيجوز أن يكون خاتمًا من حديد أو درعًا أو قدحًا من تمر أو تعليمًا لكتاب الله إذا تراضى على ذلك المتعاقدان، ولكن مع هذا التيسير من جانب الشرع الحنيف، والله يريد أن يخفف على عباده، نجد في المقابل أن كثيرًا من الناس لا يحلو لهم هذا التيسير وسلكوا طريق العسرة

والمشقة وكلفوا أنفسهم وغيرهم ما لا طاقة لهم به من الصداق والجهاز، حتى أصبح الزواج حلمًا عزيز المنال أمام كثير من الشباب ولا سيما المتمسكين بدينهم، أما غير المتمسكين فقد ولَّد هذا الضغط والإسراف لديهم انفجارًا وانفلاتًا من كل القيود، فلا يجهزون بيتًا، ولا يدفعون صداقًا ولا يجهزون أثاثًا، وإنما يلتقون بعيدًا عن أعين الأولياء ويجتمعون تحت مظلة الزنا ويسمونها زواجًا عرفيًا وما هو من الزواج في شيء، فزادت بذلك العنوسة، وزاد السفاح، وخرجت علينا الإحصائيات تقول: إنه يوجد لدينا ثمانية عشر مليونًا من الشباب والشابات، أحد عشر مليونًا من الذكور تجاوز نصفهم الخامسة والثلاثين من عمره ولم يتزوج والنصف الآخر ما بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين ولم يتزوج، وسبعة ملايين من الفتيات نصفهن ما بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين ولم يتزوجن والنصف الآخر تجاوز الخامسة والثلاثين ولم يتزوجن، ونُشر في جريدة الأهرام ٢٠٠٥/٣/٤ أن هناك ٦ ملايين حالة زواج عرفي، منها ١٨٪ جامعيين يفعلونه، ٣٧٪ منهم يرون أنه حلال، وهناك مائتان وعشرون ألف حالة طلب اعتراف بنسب الأطفال معروض أمام القضاء، كل هذا بسبب عدم الأخذ بما قررته الشريعة من تيسير وصراحة ووضوح في هذا الأمر الجلل.

والعلاج

هو في اتباع هدي الإسلام في هذا الجانب من حياة الأسرة وهو التيسير كما قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧].

والشاهد من الآية الكريمة هو قول العبد الصالح: وما أريد أن أشق عليك، فهذا موسى عليه السلام لا يوجد له مأوى ولا زوجة ولا طعام فصار له كل ذلك بعد فضل الله سبحانه وتعالى، ثم معاونة هذا العبد الصالح، فكم نحن بحاجة إلى مثل هذا العبد الصالح لتشيع العفة، وتنحسر العنوسة، ويموت السفاح، وتحل البركة في الأسرة ؛ لما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير النكاح أيسره». [الصحيحة ١٨٤٢، وسنده صحيح].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن من يُمْن المرأة: تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها- يعني تيسير رحمها للولادة». [الإرواء ٦/ ٣٥٠، وحسنه الألباني].

شبهة وردها

يتشدق المغالون في المهور بقصة المرأة التي ردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دعا إلى عدم التغالي في المهور وقال: فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، وأن المرأة قالت له: إنك نهيت الناس أن يغالوا في صُدُق النساء والله عز وجل يقول: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾، فقال: كل أحد أفقه من عمر، فقال العلامة الألباني عن هذا الخبر: إنه ضعيف منكر. [الإرواء ٨/٣٤٧].

وبعض الفقهاء اعتمد في جعلهم الحد الأدنى للمهر عشرة دراهم بحديث جابر: «لا مهر أقل من عشرة دراهم». وهذا الحديث رواه الطبراني (٣/٢٤٤)، ولكن قال الشوكاني في نيل الأوطار (٦/٣١١): لم يصح، فإن في إسناده مبشر بن عبيد وحجاج بن أرطاة وهما ضعيفان وقد اشتهر حجاج بالتدليس، ومبشر متروك، وقد روى الحديث البيهقي من طريق أخرى وقال: فهذه طريق ضعيفة لا تقوم بها حجة.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في فتاويه في الزواج: والمشروع في المهر أن يكون قليلاً، فكلما قلَّ وتيسرَّ فهو أفضل، اقتداءً بالنبي ﷺ وتحصيلاً للبركة، فإن أعظم النكاح بركةً أيسره مؤونة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الاحتفال بالمولد النبوي

إعداد / صلاح نجيب الدق

الحمد لله، الذي اكمل لنا ديننا، واتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، اما بعد فهناك سؤال هام يتردد بين المسلمين كل عام الا وهو: هل احتفل نبينا محمد ﷺ بمولده؟وسوف نحاول الإجابة عليه بإيجاز شديد، فنقول وبالله التوفيق:

معنى الموالد

الموالد هي الاجتماعات التي تُقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء، والأصل فيها أن يتحرى الوقت الذي وُلد فيه من يقصد بعمل المولد.

[الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٢٥٠].

الفاطميون أول من أحدث الموالد

أول من أحداث الموالد في مصر الفاطميون، وهم من الشيعة الروافض، وذلك في القرن الرابع الهجري، فابتدعوا ستة موالد وهي: المولد النبوي، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة الزهراء، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر، وبقيت هذه الموالد مدة من الزمن حتى أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش ثم أعيدت في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥٢٤ هجرية بعد ما كاد الناس ينسونها، وكان الفاطميون (العبيديون) يسبون أصحاب النبي ﷺ ، وكان احتفالهم بمولد النبي ﷺ ليس محبة في النبي ﷺ وآل بيته، وإنما كان من أجل تحقيق هدفهم الوحيد، وهو بلوغ أغراضهم السياسية، ونشر مذهبهم الشيعي الرافضي، وذلك باستمالة عامة الناس إليهم بإقامة الموالد، التي تتجلى فيها مظاهر الكرم، والهدايا النفيسة من النقود، والجوائز للشعراء والعلماء وكذلك الإحسان إلى الفقراء وإقامة ولائم الطعام، وكل هذه الأمور جديرة بأن تستميل قلوب عوام الناس إلى اعتناق مذهبهم الشيعي الرافضي الخبيث. [الإبداع في مضار الابتداع (ص٢٥١)، والبدعة الحولية للتويجري ص١٣٧، ١٥٧].

منكرات الاحتفال بالموالد

إن الاحتفال بالمولد، مع كونها بدعة محدثة في الإسلام، لا تخلو من اشتمالها على منكرات، كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب الخمور والمخدرات، وغير ذلك، مما هو مشاهد ومعلوم لجميع الناس، وقد يقع في الموالد ما هو أعظم من ذلك، وهو الشرك بالله تعالى، وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء، وذلك بدعائه والاستعانة به، وطلب المدد منه ﷺ ، ولقد نهانا نبينا محمد ﷺ عن الغلو في الدين.

روى أحمد عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم بالغلو في الدين». [حديث صحيح: مسند أحمد ج١ ص٢١٥، السلسلة الصحيحة للألباني ح١٢٨٣].

روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني (لا تبالغوا في مدحي) كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا

عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». [البخاري ح٣٤٤٥].

عجائب وغرائب

إن من عجائب وغرائب الاحتفال بالمولد أننا نرى الكثير من الناس ينشطون ويجتهدون في هذه الاحتفالات المبتدعة في دين الله ويدافعون عنها، ويتخلفون عما أوجبه الله تعالى من الحضور إلى صلاة الجماعة في المساجد، ويعتقد بعضهم أن رسول الله ﷺ يحضر المولد، ولهذا يقومون له محيين ومرحبين به، وهذا من أعظم الباطل، وأقبح الجهل، فإن رسول الله ﷺ لا يحضر الموالد، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو في قبره إلى قيام الساعة، وروحه في أعلى عليين عند الله تعالى.

ليس في الإسلام بدعة حسنة

قال الإمام مالك بن أنس: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾. (الاعتصام للشاطبي ص٣٧).

وعلى ذلك نقول: من زعم أن الاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة حسنة فقد أخطأ، فليس هناك بدعة حسنة على الإطلاق، بل البدع في الدين كلها شر وضلالة. روى مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». [مسلم حديث ٨٦٧].

وفي ضوء هذا الحديث نقول: من زعم أن في البدع التي ابتدعت في دين الله تعالى شيئًا محمودًا، فإنما هو في الحقيقة استدراك على شريعة الله الكاملة، ورد على رسول الله ﷺ، وهذان أمران خطيران جدًا ؛ لما فيهما من المحادة لله تعالى ولرسوله ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

أخي الكريم: إن هذه الآية الكريمة تقضي على البدع كلها، وترد ردًا قاطعًا على من تعلق بالبدع أو بشيء منها، وترد كذلك على كل من أفتى بأن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة حسنة.

تعريف البدعة

قال الشاطبي: البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى. (الاعتصام الشاطبي ص٢٨).

ربيع الأول: شهر الفرح أم شهر الحزن؟

قال ابن الحاج (وهو يتحدث عن بدعة المولد النبوي):

«العجب العجاب، كيف يعملون المولد بالمغاني والفرح والسرور لأجل مولده ﷺ في هذا الشهر الكريم، وفيه انتقل إلى كرامة ربه عز وجل وفجعت الأمة وأصيبت بمصاب عظيم، لا يعدل غيرها من المصائب أبدًا، فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير، وانفراد كل إنسان بنفسه لما أصيب به؟!

روى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتغز بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي». [صحيح ابن ماجه للألباني ح١٣٠٠).

[المدخل لابن الحاج ج٢/ص١٥].

هل احتفل نبينا ﷺ بيوم مولده؟

روى مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثت فيه»، أو: «أُنزل عليّ فيه». [مسلم ح١١٦٧].

حدد لنا النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف، نوع العمل الذي نتقرب به إلى الله تعالى في يوم مولده، وهذا العمل الذي سنه لنا النبي ﷺ هو الصيام، وقد اختار الرسول ﷺ الصيام دون غيره في هذا اليوم لأن الصوم سر بين العبد وربه سبحانه وتعالى، مما يوحي للمسلم أن العمل الذي يتقرب به إلى الله تعالى في يوم مولد رسوله ﷺ ينبغي أن يكون سرًا، بعيدًا عن التجمعات البشرية في الأماكن العامة أو الخاصة.

ولاحظ أخي الكريم في صيغة السؤال والجواب في هذا الحديث الشريف أن نبينا محمد ﷺ لم يكن يفعل ذلك على سبيل الاحتفال المعهود اليوم في أذهان كثير من المسلمين، وإنما كان يفعله النبي ﷺ على سبيل شكر النعمة، نعمة خلق النبي ﷺ، ونعمة اصطفائه بالرسالة الخاتمة إلى جميع الخلق.

أخي الكريم: لو كان صوم النبي ﷺ ليوم مولده احتفالاً كما يزعم كثير من الناس لاختلفت كيفية الأداء حينئذ، كأن يجتمع الصحابة مع رسول الله ﷺ ويتسابقون في إلقاء الخطب وعبارات الثناء والمدح والأناشيد من أجل النبي ﷺ، كما يفعله الكثير من المسلمين اليوم، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث، وهذا يؤكد أن رسول الله ﷺ كان يتقرب بالصيام يوم مولده شكرًا لله تعالى على نعمة خلق النبي ﷺ على نعمة اصطفائه وإرساله رحمة للعالمين.

شبهات والرد عليها

إن المؤيدين للاحتفال بمولد نبينا ﷺ يثيرون بعض الشبهات لكي يجعلوا الاحتفال بالمولد النبوي مشروعًا أو مباحًا على الأقل، ونذكر بعضًا من هذه الشبهات، ونرد عليها، فنقول وبالله التوفيق:

الشبهة الأولى: يقولون: إن الاحتفال بالمولد النبوي ليس بدعة، بل هو سنة حسنة ؛ بدليل قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

الرد على هذه الشبهة: نقول: إن السنة الحسنة هي التي يكون لها أصل في الشرع، وقد سنها النبي ﷺ، وذلك كالصدقة التي هي سبب هذا الحديث الشريف، فعندما رأى النبي ﷺ قومًا فقراء حث الصحابة على التصدق عليهم فتسابقوا على إجابة دعوته ﷺ، فذكر الحديث تعليقًا على ما سبق بالصدقة، وأما الاحتفال بالمولد النبوي فهو بدعة حدثت بعد القرون الثلاثة الفاضلة.

الشبهة الثانية: يقول المؤيدون للاحتفال بالمولد النبوي: إن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لم يحتفلوا بمولد النبي ﷺ لقرب عهدهم بالنبي ﷺ وليسوا في حاجة إلى الاحتفال لهذا السبب.

الرد على هذه الشبهة نقول: إن بُعد المسافة الزمنية بيننا وبين نبينا ﷺ لا يبرر إحداث بدع في دين الله تعالى، خاصة وأن نبينا ﷺ قد حذرنا من الابتداع في الدين، وما دام أصحاب القرون الثلاثة الفاضلة لم يحتفلوا بمولد النبي ﷺ فإنه ينبغي علينا أن نسير على نهجهم لننال المحبة الحقيقية لنبينا ﷺ.

الشبهة الثالثة: يقول المؤيدون للمولد النبوي: هل تمنعون ذكر الله تعالى والحديث عن سيرة نبينا ﷺ؟

الرد على هذه الشبهة: نقول: لا نمنع ذكر الله تعالى ولا الحديث عن سيرة نبينا ﷺ، وإنما نمنع تخصيص ذلك بيوم واحد في السنة من غير دليل شرعي من القرآن الكريم أو سنة نبينا ﷺ.

الشبهة الرابعة: يقول المؤيدون للاحتفال بالمولد النبوي: إن الرسول ﷺ كان يصوم يوم الاثنين، ولما سئل عنه قال ذاك يوم: ولدت فيه، فالرسول ﷺ كان يصوم يوم الاثنين بمعنى أنه كان يحتفل به لأنه وُلد فيه.

الرد على هذه الشبهة: إننا لا ننكر مشروعية صوم يوم الاثنين وفضله، وكذلك صوم يوم الخميس فصومهما مستحب طوال العام وليس في وقت دون وقت آخر.

إن قياس ما هو مشروع- وهو الصيام على ما لم يشرعه النبي- وهو الاحتفال بيوم مولده- قياس مع الفارق، وهو قياس باطل. ولو اقتصر احتفالكم بالنبي ﷺ على صوم يوم الاثنين في عموم العام قبله لكان الأمر أهون.

الشبهة الخامسة: يقول المؤيدون للاحتفال بالمولد النبوي: إن النعم تقتضي الشكر بدليل أن النبي ﷺ لما قدم المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء قال لهم: ما هذا اليوم الذي تصومون؟

قالوا: هذا يوم صالح أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله، فقال النبي ﷺ: «نحن أحق بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه، وميلاد نبينا ﷺ من أكبر النعم وهي تقتضي شكرًا لله تعالى، فاحتفالنا بمولده ﷺ إنما هو من الشكر على هذه النعمة العظيمة.

الرد على هذه الشبهة: نقول: إن النعم تستوجب الشكر عليها، وأعظم النعم على هذه الأمة هي بعثة نبينا ﷺ وليس مولده ؛ لأن القرآن لم يشر إلى مولده ﷺ، وإنما أشار إلى بعثته ﷺ على أنها نعمة من الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وهذا هو الشأن مع جميع الرسل، فإن العبرة ببعثتهم لا بمولدهم، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فلو كان الاحتفال بمولد النبي ﷺ مشروعًا لكان الأولى به ذكرى بعثته ﷺ وليس مولده ﷺ، وأما صوم النبي ﷺ يوم عاشوراء فإنما هو بوحي من الله تعالى، ولا يجوز لنا أن نقيس عليه فنبتدع في دين الله تعالى ما ليس منه.

وختامًا: احذر أخي المسلم أن تخالف سنة نبينا محمد ﷺ، وذلك بمشاركتك في بدعة الاحتفال بمولد نبينا محمد ﷺ بأي صورة من صور المشاركة أو غير ذلك من البدع التي حذرنا منها نبينا ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

من أخبار الجماعة

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بكفر الشيخ بأنه قد تم قيد جمعية أنصار السنة المحمدية بدسوق- جماجمون برقم (٩٣٣ بتاريخ ٢٠٠٨/٢/١١م طبقًا للقانون (٨٤) لسنة ٢٠٠٢م بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تُوفي عن ٧٢ سنة الشيخ / فتحي محمد بدران (أبو طارق)، عضو مجلس إدارة فرع المطرية/ القاهرة، وأمين الصندوق لمدة ما تزيد على ثلاثين عامًا، وذلك صباح يوم السبت ٢٥ من المحرم ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨/٢/٢م.

نسأل الله تعالى له المغفرة والرحمة، ولآله الصبر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إعلام المصلين والولاة بمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

فقد ذكرنا في الحلقة السابقة من يُقدم لإمامة الصلاة، فقلنا: يُقدم لها الأقرأ، ثم الأعلم بالسنة، ثم الأسبق بالهجرة، ثم الأكبر سنًا، إلا أنه يرد على تقديم هؤلاء الاستثناء الآتي:

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

أولا: صاحب البيت

إذا أقيمت الجماعة في بيت فصاحبه أولى بالإمامة من غيره- إذا كان ممن تصح إمامته- فإذا اجتمع مع صاحب البيت من هو أقرأ منه وأعلم منه فلا يجوز له أن يتقدم للإمامة إلا إذا أذن له صاحب البيت.

الدليل:

١- عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمنَّ الرجل الرجل في بيته، ولا في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه».

[رواه مسلم].

والتكرمة: هي ما يختص به الإنسان من فراش ووسادة ونحوها، وقيل: هي المائدة.

٢- عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من زار قومًا فلا يؤمهم وليؤمهم رجل منهم».

[رواه أبو داود وصححه الألباني].

الحكم إذا كان في البيت ذو سلطان:

إذا اجتمع مع صاحب البيت ذو سلطان فمن يُقدم للإمامة ؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: يرى تقديم ذي السلطان على صاحب البيت.

دليله:

١- لأن النبي ﷺ أمَّ عتبان بن مالك وأنسًا في بيوتهما، فدل ذلك على تقديم ذي السلطان على صاحب البيت.

٢- لأن ولاية ذي السلطان تشمل البيت وصاحبه.

القول الثاني: يرى تقديم صاحب البيت على ذي السلطان.

دليله: عموم قوله ﷺ: «لا يؤمن الرجل الرجل في بيته ولا في سلطانه ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه».

القول الراجح: هو القول الأول ؛ لقوة أدلتهم وسلامتها عن المعارض.

الحكم في حال اجتماع مالك البيت والمستأجر

إذا اجتمع مالك البيت مع مستأجر البيت، فالمستأجر أولى بالإمامة لأنه أحق بالتصرف في المنافع، وحكى الرافعي أن المالك أحق لأن المستأجر إنما يملك السكنى، والرأي الأول أصح.

الحكم في حال اجتماع المعير والمستعير للبيت

اختلف العلماء في ذلك على رأيين:

الأول: وهو قول الجمهور أن المعير أحق بالإمامة.

القول الثاني: المستعير أحق لأنه الساكن.

الحكم في حال اجتماع السيد مع العبد في البيت

يقدمونه لإمامة الصلاة

إذا اجتمع العبد مع سيده في البيت يقدم السيد على العبد في الإمامة وذلك لأن السيد يملك البيت والعبد على الحقيقة، فإذا اجتمع قوم مع العبد، فإذا لم يكن سيده معهم في البيت فالعبد أولى للآتي:

١- لعموم حديث أبي مسعود البدري.

٢- ما روي عن صالح بن أحمد أنه اجتمع ابن مسعود وحذيفة وأبو ذر رضي الله عنهم في بيت أبي سعيد مولى أبي أسيد وهو عبد فتقدم أبو ذر ليصلي بهم فقالوا له: وراءك فالتفت إلى أصحابه فقال: أكذلك؟ فقالوا: نعم، فتأخر وقدموا أبا سعيد فصلى.

من كل ما سبق يتضح خطأ ما يقع فيه البعض من قيامهم بالتعدي على حق صاحب البيت فيتقدمون عليه في الإمامة في بيته دون إذنه، وليعلم القارئ أن هذا الحكم يشمل صاحب البيت أو صاحب المكان سواء كان محلاً أو مصنعًا أو غيره، فلا يجوز التقدم على صاحب المكان في الإمامة إلا بإذنه وذلك لقوله ﷺ: «ولا في سلطانه». والسلطان عام يشمل جميع الأماكن التي للشخص ولاية عليها.

ثانيا: إمام المسجد الراتب

إمام المسجد الراتب أحق من غيره بالإمامة، فلو أن إمام المسجد كان قارئًا يقرأ القرآن على وجه تحصل به براءة الذمة وحضر رجل عالم قارئ فقيه، فالأولى إمام المسجد وذلك للآتي:

١- عموم قوله ﷺ: «في سلطانه»، فإمام المسجد سلطان في مسجده فلا يُقدَّم عليه غيره.

٢- عن نافع قال: أقيمت الصلاة في مسجد بطائفة من المدينة ولابن عمر قريبًا من ذلك المسجد أرض يعملها، وإمام ذلك المسجد مولى له ومسكن ذلك المولى وأصحابه ثَمَّ، فلما سمعهم ابن عمر جاء ليشهد معهم الصلاة، فقال له المولى صاحب المسجد: تقدم فَصَلِّ، فقال له عبد الله: أنت أحق أن تصلي في مسجدك مني، فصلى المولى صاحب المسجد.

[رواه عبد الرزاق في مصنفه]

٣- لأننا لو قلنا: إن الأقرأ أولى حتى ولو كان للمسجد إمام راتب لحصل بذلك فوضى، وكان لهذا المسجد في كل صلاة إمام.

الحكم إذا اجتمع إمام المسجد الراتب مع ذي السلطان

لو أن الإمام الأعظم حضر إلى المسجد فهو أَوْلى من إمام المسجد للإمامة وذلك للآتي:

١- عموم قوله ﷺ: «ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه»، والإمام الأعظم لا يقدم عليه أحد في سلطانه.

٢- لأن سلطة الإمام الراتب دون سلطة السلطان الأعظم، فسلطة السلطان الأعظم أقوى بدليل أنه يمكن للسلطان الأعظم أن يعزل الإمام الراتب عن منصبه.

هل هذا الاستثناء خاص بالصلاة فقط أم يشمل غيرها؟

تقدم النص في الحديث على عدم جواز التقدم على الرجل في سلطانه إلا بإذنه وقلنا: إنه يشمل الإمام الراتب فلا يجوز التقدم عليه في الإمامة إلا بإذنه، فهل يشمل الحكم إلقاء الخطب والدروس في مسجده أم لا؟

إذا كانت ولاية الإمام الراتب تشمل الصلاة وإلقاء الخطب والدروس والوعظ والإرشاد في مسجده فلا يجوز لأحد أن يتقدم عليه إلا بإذنه،

وذلك بدلالة المفهوم.

الحكم في حال تخلف الإمام الراتب عن الإمامة

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السؤال الآتي «الفتوى رقم ١٩٤٠»:

حضر في مسجد جماعة مسافرون وغير مسافرين وامتلأ المسجد بالمسلمين في وقت صلاة العصر، وقال الذين في المسجد من يصلي بالحاضرين في المسجد ؟ فصلى بهم واحد، ولما كبر تكبيرة الإحرام وقرأ الفاتحة حضر الإمام الراتب الرسمي وأخّر الإمام وتقدم وصلى بالناس، وحصل خلل في الصفوف فأفتونا في ذلك»

فأجابت اللجنة: الأصل ألا يصلي أحد إمامًا بالناس في مسجد له إمام راتب إلا بإذنه، لأنه بمنزلة صاحب البيت وهو أحق بالإمامة ؛ لقول النبي ﷺ: «لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد على تكرمته إلا بإذنه». رواه مسلم، فإن تأخر عن وقته المعتاد حضوره فيه جاز أن يتقدم غيره للصلاة بالناس دفعًا للحرج، فإذا حضر الإمام الراتب فله أن يتقدم للإمامة، وله أن يصلي مأمومًا، وعلى هذا فما فعله الإمام في المسألة المذكورة من حقه، وصلاتكم صحيحة إن شاء الله، وقد تأخر النبي ﷺ مرة في السفر حين ذهب ليقضي حاجته فجاء ﷺ وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه يصلي بالناس فأراد عبدالرحمن أن يتأخر فأشار النبي ﷺ إليه أن يستمر وصلى مأمومًا وراء عبد الرحمن».

[أخرجه مسلم].

وتأخر مرة أخرى في المدينة ليصلح بين بني عمرو بن عوف ثم جاء وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس فلما أحس به أبو بكر رضي الله عنه تأخر إلى الصف وتقدم النبي ﷺ إمامًا.

[رواه مسلم]. اهـ.

الصلاة على الجنازة

أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي حازم قال: إني لشاهد يوم مات الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: فرأيت الحسين بن علي رضي الله عنهما يقول لسعيد بن العاص وكان أمير المدينة وهو يضرب في عنقه تقدم فوالله لولا أنها سنة ما قدمتك لكنها سنة النبي ﷺ. [صحيح].

فالحديث دليل على أن ولي أمر المسلمين إن وجد أو نائب الولي أو الإمام الراتب هو الأولى بالصلاة على الجنازة، أما ما درج عليه الناس من تقديم أقرب الناس للميت للصلاة عليه، فلا دليل عليه، فترى الناس الآن يتمسكون به- مع عدم ثبوته- وتحدث المشاكل في المسجد بسبب تقدم رجل لا يصلي أصلاً للصلاة على قريب له، فيتقدم على أهل الفضل والصلاح والعلم بحجة أنه من أقارب الميت، بل ويصل الأمر أحيانًا إلى التعدي على الإمام الراتب للصلاة على قريبه !!

ثالثًا: السلطان

إذا دخل السلطان بلدًا له فيه خليفة فهو أحق من خليفته لأن ولايته على خليفته وغيره، قال النووي في المجموع: قال أصحابنا رحمهم الله: إذا حضر الوالي في محل ولايته قدم على جميع الحاضرين، فيقدم على الأفقه والأقرأ والأورع وعلى صاحب البيت وإمام المسجد، إذا أذن صاحب البيت ونحوه في إقامة الصلاة في ملكه، قال البغوي والرافعي: ويراعى في الولاة تفاوت الدرجة، فالإمام الأعظم أولى من غيره ثم الأعلى فالأعلى من الولاة والحكام، وحكى الرافعي قولاً: أن المالك أولى من الإمام الأعظم، وهذا شاذ غريب ضعيف جدًا. اهـ.

حكم التنازل عن الإمامة ممن يستحقها ؟

يجوز لمن ثبتت له الإمامة ممن ذكرناهم آنفًا أن يأذنوا لغيرهم في الإمامة للآتي:

١- لقوله ﷺ في حديث أبي مسعود «إلا بإذنه»، فدل ذلك على جواز التنازل عنها.

٢- الإمامة حق له فله نقلها إلى من يشاء.

وللحديث بقية إن شاء الله.

بادر .. أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية :

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.
- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجميع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٥ سنة من المجلة.
- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد .. نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم

يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي
على بنك فيصل الإسلامي
فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد

الآن

بمقر مجلة التوحيد

المجلد الجديد لعام ١٤٢٨هـ

سارع بطلب نسختك وحجزها قبل نفاذ الكمية

مفاجأة

... لا تحرم
مكتبتك وبيتك
وأولادك من هذا
العلم النافع

التوحيد
١٤٢٨
مجلة إسلامية ثقافية شهرية

اهد نسخة لمسجدك - ونسخة لمكتبتك العامة

- علم نافع وصدقة جارية لا تُفوِّت الفرصة

كرتونة المجلدات أُضيف إليها ذخرٌ جديد

فأصبحت ٣٦مجلدًا - أقبل على الخير